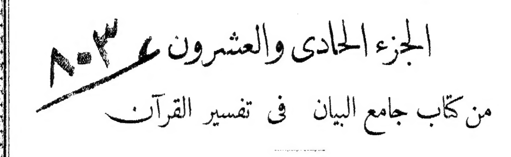


الجزء الحادى والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشـــه

تفسير غرائب القـرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيـــه

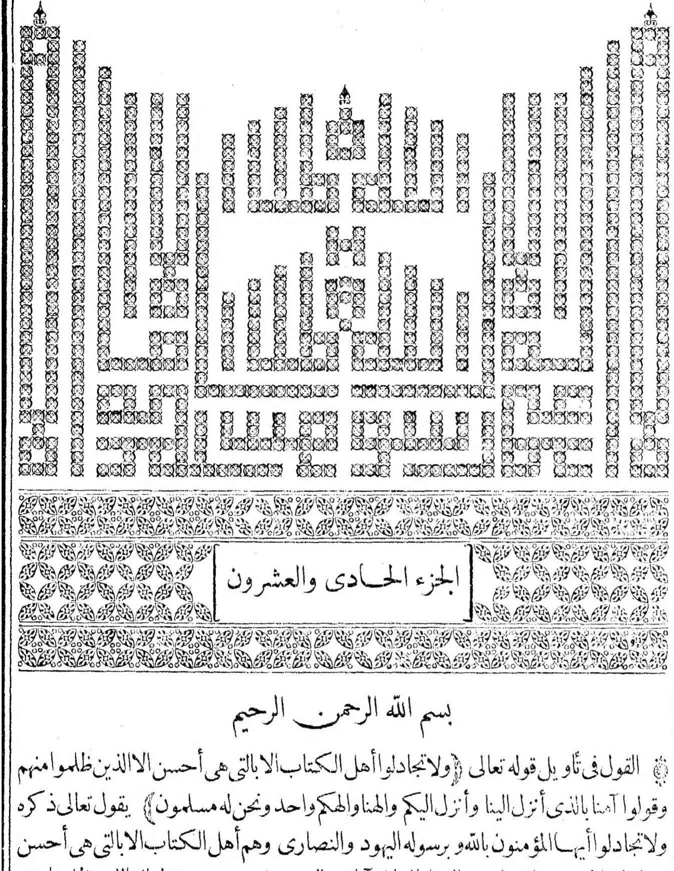
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصـــر المحميه

سـنة ١٣٢٨ هجريه



الجزء الحادى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولاتجادلوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن يقول الا بالجميل من القول وهو الدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وقوله الا الذين ظلموا منهم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه الا الذين أبوا أن يقروا لكم باعطاء الجزية ونصبوا دون ذلك لكم حربا فانهم ظلمة فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا يزيد عن سفيان عن خصيف عن مجاهد فى قوله ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم قال من قاتل ولم يعط الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد بنحوه الا أنه قال من قاتلك ولم يعطك الجزية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن قال ان قالوا شرا فقولوا خيرا الا الذين ظلموا منهم فانتصروا منهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله إله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم قال هم أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع

﴿ان الله يعلم مايدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين أتل ماأوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ومايجحد بآياتنا الا الكافرون وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم

ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار (٣) خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا

قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم قال أهل الحرب من لا عهد له جادله بالسيف * وقال آخرون معنى ذلك ولا تجادلوا أهل الكتاب الذين قد آمنوا به واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما فى كتبهم الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم فأقاموا على كفرهم وقالوا هذه الآية محكمة وليست بمنسوخة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن قال ليست بمنسوخة لا ينبغى أن تجادل من آمن منهم لعلهم يحسنون شيأ فى كتاب الله لا تعلمه أنت فلا تجادله ولا ينبغى أن تجادل الا الذين ظلموا المقيم منهم على دينه فقال هو الذى يجادل (١) و يقال له السيف قال وهؤلاء يهود قال ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد انما كانوا يهودا هم الذين كلموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدرت النضير يوم أحد وغدرت قريظة يوم الاحزاب * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقتال وقالوا هى منسوخة نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ثم نسخ بعد ذلك فأمر بقتالهم فى سورة براءة ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقروا بالخراج * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عنى بقوله الا الذين ظلموا منهم الا الذين امتنعوا من أداء الجزية ونصبوا دونها الحرب فان قال قائل أوغير ظالم من أهل الكتاب الا من لم يؤد الجزية قيل ان جميعهم وان كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلمة فانه لم يعن بقوله الا الذين ظلموا منهم ظلم أنفسهم وانما عنى به الا الذين ظلموا منهم أهل الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فان أولئك جادلوهم بالقتال وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لان الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذى هو أحسن بقوله الا الذين ظلموا منهم فمعلوم اذ كان قد أذن لهم فى جدالهم أن الذين لم يؤذن لهم فى جدالهم الا بالتى هى أحسن غير الذين أذن لهم بذلك فيهم وأنهم غير المؤمن لان المؤمن منهم غير جائز جداله الا فى غير الحق لانه اذا جاء بغير الحق فقد صار فى معنى الظلمة فى الذى خالف فيه الحق فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال عنى بقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب أهل الايمان منهم وكذلك لا معنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الامر بالقتال وزعم أنها منسوخة لانه لا خبر بذلك يقطع العذر ولا دلالة على صحته من فطرة عقل وقد بينا فى غير موضع من كتابنا أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله فى كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن اذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين وأن يكونوا فيه كاذبين ولم تعلموا أمرهم وحالهم فى ذلك فقولوا لهم آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم مما فى التوراة والانجيل وإلهنا وإلهكم واحد يقول ومعبودنا ومعبودكم واحد ونحن له مسلمون يقول ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا * ونحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله

(١) لعله و يقاتل بالسيف وحرر كتبه مصححه

وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾

﴿ القراآت مايدعون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل و يعقوب وعاصم غير الأعشى والبرجمى الباقون بتاء الخطاب آية على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل وحمزة وعلى غير قتيبة وخلف لنفسه ويقول بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالنون ياعبادى الذين بسكون الياء أبو عمرو وسهل و يعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع بالياء لاغير أرضى بفتح الياء ابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانية وفتح الجيم يحيى وهشام ترجعون بفتح التاء الفوقانية وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانية وفتح الجيم لنثوينهم بسكون الثاء المثلثة

صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا على عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عطاء بن يسار قال كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن سليمن عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفى قلبه تالية تدعوه الى دينه كتالية المال وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله اله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير أو آذوا محمدا وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا اليك هذا الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بنى اسرائيل يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به يقول ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بنى اسرائيل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الكافرون يقول تعالى ذكره وما يجحد بأدلتنا وحججنا الا الذى يجحد نعمنا عليه وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يجحد بآياتنا الا الكافرون قال انما يكون الجحود بعد المعرفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد تتلو يعنى تقرأ من قبله يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته اليك من كتاب ولا تخطه بيمينك يقول ولم تكن تكتب بيمينك ولكنك كنت أمّيا اذا لارتاب المبطلون يقول ولو كنت من قبل أن يوحى اليك تقرأ الكتاب أو تخطه بيمينك اذا لارتاب يقول اذا لشك بسبب ذلك فى أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تتلوه عليهم المبطلون القائلون انه سجع وكهانة وانه أساطير الأولين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أمّيا لا يقرأ شيأ ولا يكتب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان نبى الله لا يقرأ كتابا قبله ولا يخطه بيمينه قال كان أميا والأمى الذى لا يكتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ادريس الأودى عن الحكم عن مجاهد

حمزة وعلى وخلف والآخرون بفتح الباء التحتانية الموحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلى وخلف سبلنا بسكون الباء أبو عمرو ۞ الوقوف من شئ ط (٤) الحكيم ٥ للناس ط لاختلاف الجملتين والعدول عن العموم الى الخصوص العالمون ٥ بالحق ٥ للمؤمنين ٥ الصلاة ط والمنكر ط أكبر ط ما تصنعون ٥ مسلمون ٥ اليك الكتاب ط يؤمنون به ج فصلا بين حال الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به ط الكافرون ٥ المبطلون ٥ العلم ط الظالمون ٥ من ربه ط عند الله ط مبين ٥ عليهم ط يؤمنون ٥ شهيدا ج لأن ما بعده يصلح وصفا واستئنافا والارض ط بالله لا لان ما بعده خبر الخاسرون ٥ بالعذاب ط العذاب ط لا يشعرون ٥ بالعذاب ط بالكافرين ٥ لا لان يوم ظرف لمحيطة تعملون ٥ فاعبدون ط ترجعون ٥ خالدين فيها ط العاملين قف بناء على أن التقدير هم الذين أو أعنى الذين يتوكلون ٥ رزقها ق قد قيل والوصل أولى لأنه وصف آخر لدابة وايا كم ج لاحتمال الاستئناف والوصل أولى ليكون حالا متمما للمعنى العليم ٥ ليقولن الله لا للاستفهام مع الفاء يؤفكون ٥ ويقدر له ط عليم ٥ ليقولن الله ط الحمد لله ط لتمام المقول لا يعقلون ٥ ولعب ط الحيوان ط لأن الشرط غير معلق يعلمون ٥ الدين ٥ يشركون لا لتعلق لام كى ومن جعلها لام أمر تهديد وقف عليه آتيناهم ط لمن قرأ وليتمتعوا بالجزم على استئناف الامر ومن جعل لام ليكفروا للامر عطف هذه عليها فلم يقف وليتمتعوا لا لاستئناف التهديد يعلمون ٥ من حولهم ط يكفرون ٥ جاءه ط الكافرين ٥ سبلنا ط المحسنين ٥ ۞ التفسير هذا توكيد وما للمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيأ هذا على تقدير كون ما نافية ومن زائدة ويجوز أن تكون استفهاما منصوبا بيدعون

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية * ونحو الذى قلنا أيضا فى قوله اذا لارتاب المبطلون قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا لارتاب المبطلون اذا لقالوا انما هذا شئ تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله اذا لارتاب المبطلون قال قريش ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم فقال بعضهم عنى به نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا معنى الكلام بل وجود أهل الكتاب فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ وأنه أمى آيات بينات فى صدورهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم قال كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل لاهل العلم وعلمه لهم وجعله لهم آية فقال لهم ان آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ولا يخطه بيمينه وهى الآيات البينات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب قال كان نبى الله لا يكتب ولا يقرأ وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والانجيل أنه نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب صدّقوا بمحمد ونعته ونبوته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بل هو آيات بينات قال أنزل الله شأن محمد فى التوراة والانجيل لأهل العلم بل هو آية بينة فى صدور الذين أوتوا العلم يقول النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى بذلك القرآن وقالوا معنى الكلام بل هذا القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال الحسن فى قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى المؤمنين * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية لأن قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الظالمون يقول تعالى ذكره وما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته وينكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ومبعثه الا الظالمون يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما

او بمعنى الذى ومن للتبيين المراد مايدعون من دونه من شئ فان الله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعدامه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة وفيه أيضا تجهيل لهم حيث عبدوا ماهو أقل (ه) من لاشئ وتركوا عبادة القاهر القادر الحكيم ثم ان الجهلة من قريش كانوا يسخرون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ونحوهما فنزلت (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وذلك لأن الأمثال والتشبيهات وسائل الى المعانى المحتجبة فى الأستار كما سبق فى أول البقرة حيث ضرب المثل بالبعوضة قال الحكيم العلم الحدسى يعرفه العاقل وأما اذا كان فكريا دقيقا فانه لا يعقله الا العالم لافتقاره الى مقدمات سابقة والمثل مما يفتقر فى ادراك صحته وحسن موقعه الى أمور سابقة ولاحقة يعرف بها تناسب مورده ومضربه وفائدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين أمر الخلق بالايمان وأظهر الحق بالبرهان وقص قصصا فيها عبر وأنذر أهل الكفر باهلاك من غبر ووصف سبيل أهل الاباطيل بالتمثيل قوى قلوب أهل الايمان بأن كفرهم ينبغى أن لا يورث شكا فى صحة دينكم وشكهم يجب أن لا يؤثر فى ردّ يقينكم ففى خلق السموات والارض بالحق بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال ههنا الآية للمؤمنين مع قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لآيات لقوم يعقلون لأن المؤمن لا يقصر نظره من الخلق على معرفة الخالق فحسب ولكنه يرتقى منه الى نعوت الكمال والجلال فيعرف أنه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله (بالحق) والخلق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات والجزئيات والا عن الواجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم يرتقى من مجموع هذه المقدمات الى صحة الرسالة وحقيقة المعاد فيحصل له

أنا نذير مبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت المشركون من قريش هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا كما جعلت الناقة لصالح والمائدة آية لعيسى قل يا محمد انما الآيات عند الله لا يقدر على الاتيان بها غيره وانما أنا نذير مبين وانما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله وما جاءكم به من عند ربكم مبين يقول قد أبان لكم انذاره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد القائلين لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه من الآيات والحجج أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب يتلى عليهم يقول يقرأ عليهم ان فى ذلك لرحمة يقول ان فى هذا الكتاب الذى أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك لولا أنزل عليك آية من ربك الجاحدين بآياتنا من قومك كفى الله يا هؤلاء بينى وبينكم شاهدا لى وعلىّ لانه يعلم المحق منا من المبطل ويعلم ما فى السموات وما فى الارض لا يخفى عليه شئ فيهما وهو المجازى كل فريق منا بما هو أهله المحق على ثباته على الحق والمبطل على باطله بما هو أهله والذين آمنوا بالباطل يقول صدقوا بالشرك فأقروا به وكفروا به يقول وجحدوا الله أولئك هم الخاسرون يقول هم المغبونون فى صفقتهم * وبنحو الذى قلنا فى قوله والذين آمنوا بالباطل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا بالباطل الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه لجاءهم العذاب عاجلا وقوله وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يقول وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستعجلونك بالعذاب قال قال ناس من جهلة هذه الامة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون

الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على أحسن نظامه وانما وحد الآية ههنا لانه اشارة الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفى قصة ابراهيم اشارة الى النبوة وفى النبيين صلى الله (٦) عليهم وسلم كثرة وحيث قوى قلب المؤمنين بالتخصيص المذكور سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما بلغوا الرسالة وبالغوا فى اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل ولم يقل اتل عليهم لأن التلاوة بعد اليأس منهم ما كانت الا لتسلية قلب النبى صلى الله عليه وسلم أو نقول ان الكتاب الالهى قانون كلى فيه شفاء للصدور فيجب تلاوته مرة بعد أخرى ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن ويأخذه قوم من قوم الى يوم النشور وأيضا فيه من العبر والمواعظ ما يهش لها الاسماع وتطمئن اليها القلوب كالمسك يفوح لحظة فلحظة وكالروض يستلذه النظر ساعة فساعة وفى الجمع بين الأمرين التلاوة واقامة الصلاة معنيان أحدهما زيادة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له اذا تلوت ولم يقبل منك فأقبل على الصلاة لأنك واسطة بين الطرفين فان لم يتصل الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل الطرف الآخر وهو من المخلوق الى الخالق والثانى أن العبادات اما اعتقادية وهى لا تتكرر بل تبقى مستمرا عليها واما لسانية واما بدنية خارجية وأفضلها الصلاة فأمر بتكرار الذكر والصلاة حيازة للفضيلتين ثم علل الأمر باقامة الصلاة فقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فقال بعض المفسرين أراد بالصلاة القرآن وفيه النهى عنهما وهو بعيد وقيل أراد نفس الصلاة وانما تنهى عنهما مادام العبد فى الصلاة وضعف بأنه ليس مدحا كاملا لأن غيرها

يجيء

من الاعمال الفاضلة والمباحة قد يكون كذلك كالنوم وغيره والذى عليه المحققون أن للصلاة لطفا فى ترك المعاصى فكأنها ناهية عنها

بمجيء العذاب ونزوله بهم والنار بهم محيطة لم يبق الا أن يدخلوها وقيل ان ذلك هو البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية وان جهنم لمحيطة بالكافرين قال البحر * أخبرنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم فى جهنم ومن تحت أرجلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم أى فى النار وقوله ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ويقول الله لهم ذوقوا ما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله وما يسخطه فيها وبالياء فى ويقول ذوقوا قرأت عامة قراء الامصار خلا أبى جعفر وأبى عمرو فانهما قرآ ذلك بالنون ونقول والقراءة التى هى القراءة عندنا بالياء لاجماع الحجة من القراء عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده يا عبادى الذين وحدونى وآمنوا بى وبرسولى محمد صلى الله عليه وسلم ان أرضى واسعة واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أريد من الخبر عن سعة الارض فقال بعضهم أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه ولكن اذا عمل بمكان منها بمعاصى الله فلم تقدروا على تغييره فاهربوا منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ان أرضى واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصى فاخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله ان أرضى واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصى فاخرج منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن رجل عن سعيد بن جبير قال اهربوا فان أرضى واسعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن منصور عن عطاء قال اذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن عطاء ان أرضى واسعة قال مجانبة أهل المعاصى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان أرضى واسعة فهاجروا وجاهدوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون فقلت يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين فقال نعم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان ما أخرج من أرضى لكم من الرزق واسع لكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنى زيد بن الحباب عن شداد بن سعيد بن مالك أبى طلحة الراسبى عن غيلان بن جرير المعولى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير العامرى فى قول الله ان أرضى واسعة قال ان رزقى لكم واسع حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شداد عن غيلان بن جرير عن مطرف بن الشخير ان أرضى واسعة قال رزقى لكم واسع * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك ان أرضى واسعة فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتى لدلالة قوله فاياى فاعبدون على ذلك وأن ذلك هو أظهر معنييه وذلك أن الارض اذا وصفها بسعة

وذلك اذا كانت الشروط من الخشوع وغيره مرعية فقد روى عن ابن عباس من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروى أن فتى من الانصار كان يصلى معه الصلاة ثم يرتكب الفواحش فوصف ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فالمراعى لأوقات الصلاة لابد أن يكون أبعد من القبائح واللفظ لا يقتضى الا هذا القدر وكيف لا تنهى ونحن نرى أن من لبس ثوبا فاخرا فانه يتجنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يتجنب الفواحش وأيضا الصلاة توجب القرب من الله تعالى كما قال واسجد واقترب ومقرب الملك المجازى يجل منصبه أن يتعاطى الأشغال الخسيسة فكيف يكون مقرب الملك الحقيقى وأيضا من دخل فى خدمة ملك فأعطاه منصبا له مقام خاص مرتفع فاذا دخل وجلس فى صف النعال لم يتركه الملك هنالك فاذا صار العبد برعاية شروط الصلاة وحقوقها من أصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم فى أصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر مذكور مرارا وقال أهل التحقيق الفحشاء التعطيل وهو انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك به وهو اثبات اله غير الله وذلك أن وجود الواجب الواحد أظهر من الشمس وانكار الظاهر منكر ظاهر واعلم أن الصلاة لها هيئة فأولها وقوف بين يدى الله كوقوف العبد بين يدى السلطان وآخرها جثو بين يدى الله كما يجثو اهل الاخلاص بين يدى السلطان واذا جثا فى الدنيا هكذا لم يجث فى الآخرة كما قال ونذر الظالمين فيها جثيا فالمصلى اذا قال الله نفى التعطيل واذا قال أكبر نفى الشرك لان الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك واذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن هو المعطى

للوجود بالخلق والرحيم هو المفيض للبقاء بالرزق وهكذا قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفى قوله اياك نعبد نفى التعطيل والاشراك من حيث افادة التقديم الاختصاص بالعبادة وكذا قوله واياك نستعين وفى قوله

فالغالب من وصفه اياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب وقوله فاياى فاعبدون يقول فأخلصوا الى عبادتكم وطاعتكم ولا تطيعوا فى معصيتى أحدا من خلق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه هاجروا من أرض الشرك من مكة الى أرض الاسلام المدينة فان أرضى واسعة فاصبروا على عبادتى وأخلصوا طاعتى فانكم ميتون وصائرون الىّ لان كل نفس حية ذائقة الموت ثم الينا بعد الموت تردّون ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده فقال والذين آمنوا يعنى صدّقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه وانتهوا عما نهاهم عنه لنبوّئنهم من الجنة غرفا يقول لننزلنهم من الجنة علالىّ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لنبوّئنهم بالباء وقرأته عامة قراء الكوفة بالثاء لنثوينهم * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن قوله لنبوّئنهم من بوّأته منزلا أى أنزلته وكذلك لنثوينهم انما هو من أثويته مسكنا اذا أنزلته منزلا من الثواء وهو المقام وقوله تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية نعم أجر العاملين يقول نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التى يثويهموها الله فى جناته تجرى من تحتها الانهار الذين صبروا على أذى المشركين فى الدنيا وما كانوا يلقون منهم وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه وجهاد أعدائه وعلى ربهم يتوكلون فى أرزاقهم وجهاد أعدائهم فلا ينكلون عنهم ثقة منهم بأن الله معلى كلمته وموهن كيد الكافرين وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هاجروا وجاهدوا فى الله أيها المؤمنون أعداءه ولا تخافوا عيلة ولا اقتارا فكم من دابة ذات حاجة الى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها يعنى غذاءها لا تحمله فترفعه فى يومها لغدها لعجزها عن ذلك الله يرزقها واياكم يوما بيوم وهو السميع لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة العليم ما فى أنفسكم وما اليه صائر أمركم وأمر عدوّكم من اذلال الله اياهم ونصرتكم عليهم وغير ذلك من أموركم لا يخفى عليه شئ من أمور خلقه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال الطير والبهائم لا تحمل الرزق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبى مجلز فى هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم قال من الدواب ما لا يستطيع أن يدّخر لغد يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن على بن الأقمر وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تدخر شيأ لغد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

اهدنا الصراط نفى التعطيل لان المعطل لا مقصد له وفى قوله المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم أقرب الطرق وهو أحد والمشرك يزيد فى الطريق بتحصيل الوسائط وعلى هذا الى آخر الصلاة وهو قوله فى التشهد أشهد أن لا اله الا الله نفى التعطيل والاشراك فأول الصلاة الله وآخرها الله ثم ان الله سبحانه كأنه قال للعبد أنت انما وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فقل بعد ذكرى أشهد أن محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلاة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامى كما هو دأب المسافرين (ولذكر الله) أى الصلاة (أكبر) من غيرها من الطاعات وفى تسمية الصلاة بالذكر اشارة الى أن شرف الصلاة بالذكر وجوز فى الكشاف أن يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذى فى الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بالطاعة (والله يعلم ما تصنعون) من الاعمال فيثيبكم أو يعاقبكم على حسب ذلك وحين بين طريقة ارشاد المسلمين ونفع من انتفع واليأس ممن امتنع أراد أن يبين طريقة ارشاد أهل الكتاب وهى مجادلتهم بالخصلة التى هى أحسن يعنى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والعجلة بالتأنى قال بعض المفسرين أراد لا تجادلهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا اذا ظلموا وسخر فنبذوا الذمة أو منعوا الجزية وقيل الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة وقيل الا الذين آذوا رسول الله والتحقيق

وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والارض فسوّاهن وسخر الشمس والقمر لعباده يجريان دائبين لمصالح خلق الله ليقولن الذى خلق ذلك وفعله الله فأنى يؤفكون يقول جل ثناؤه فأنى يصرفون عمن صنع ذلك فيعدلون عن اخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى يؤفكون أى يعدلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ويضيق فيقتر لمن يشاء منهم يقول فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدى دون كل أحد سواى أبسط لمن شئت منها وأقتر على من شئت فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عليم بمصالحكم ومن لا يصلح له الا البسط فى الرزق ومن لا يصلح له الا التقتير عليه وهو عالم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب فأحيا به الارض يقول فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الارض واحياؤها انباته النبات فيها من بعد موتها من بعد جدوبها وقحوطها وقوله ليقولن الله يقول ليقولن الذى فعل ذلك الله الذى له عبادة كل شئ وقوله قل الحمد لله يقول واذا قالوا ذلك فقل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم وما فيه الضر فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ينالون بها عند الله زلفة وقربة ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود فى النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه الحياة الدنيا التى يتمتع منها هؤلاء المشركون الا لهو ولعب يقول الا تعليل النفوس بما تلتذ به ثم هو منقض عن قريب لا بقاء له ولا دوام وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول وان الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون حياة لا موت فيها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهى الحيوان قال لا موت فيها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول باقية وقوله لو كانوا يعلمون يقول لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك لقصروا عن تكذيبهم بالله واشراكهم غيره فى عبادته ولكنهم لا يعلمون ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره فاذا ركب هؤلاء المشركون السفينة فى البحر فخافوا الغرق والهلاك فيه دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا الله عند الشدة التى نزلت بهم التوحيد وأفردوا له الطاعة وأذعنوا له بالعبودة ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ولكن بالله الذى خلقهم فلما نجاهم الى البر يقول فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم فصاروا الى البر اذا هم يجعلون مع الله شريكا

أن أكثر أهل الكتاب جاؤا بكل حسن إلا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدإ والمعاد فلمقابلة احسانهم يجادلون أوّلا بالأحسن ولا تستهجن آراؤهم ولا ينسب الى الضلال (٩) آباؤهم بل يقال لهم (آمنا بالذى أنزل الينا) الى آخر الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسيا فقال (وكذلك) يعنى كما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا عليك وقال جار الله هو تحقيق لقوله آمنا بالذى أنزل الينا أى ومثل ذلك الانزال أنزلناه مصدّقا لسائر الكتب السماوية (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله ابن سلام وأضرابه (ومن هؤلاء) أى من أهل مكة أو الأولون هم الأقدمون من أهل الكتاب والآخرون هم المعاصرون منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل الأوّلون هم الأنبياء لأن كلهم آمنوا بكلهم ومن هؤلاء هم أهل الكتاب (وما يجحد بآياتنا) مع وضوحها الا المصرون على الكفر المتوغلون فيه نحو كعب ابن الأشرف وأصحابه واعلم أن المجادل اذا ذكر مسئلة خلافية كقوله الزكاة تجب فى مال الصغير فاذا قيل له لم قال كما تجب النفقة فى ماله ولا يذكر الجامع بينهما فان فهم الجامع من نفسه فذاك والا قيل له لان كليهما مال فضل عن الحاجة فالله سبحانه ذكر أوّلا التمسك بقوله وكذلك أنزلنا ثم ذكر الجامع بقوله (وما كنت تتلو) الآية وفى قوله (بيمينك) زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ومعنى (اذا لارتاب) لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة والخط لارتاب (المبطلون) من أهل الكتاب وارتاب الذين من شأنهم الركون الى الأباطيل لأن النبى اذا كان قارئا كاتبا أمكن أن يسبق الى الوهم أن الكلام كلامه لا كلام الله واذا كان أميا فلا مجال لهذا الوهم أو المراد أن سائر الانبيا.

لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم لمكان معجزتهم فهبوا أنه قارئ كاتب أليس صاحب آيات ومعجزات فاذاهم مبطلون على كل حال
ثم أكد ازالة ريبهم بقوله (بل هو) يعنى القرآن (١٠) (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) وهم الحفاظ والقراء وسائر الكتب
السماوية ما كانت تقرأ إلا من
القراطيس ولهذا جاء فى صفة
هذه الامة صدورهم أناجيلهم
(وما يجحد بآياتنا) الباهرة النيرة الا
المتوغلون فى الظلم سماهم أولا
كافرين لاجل مجرد الجحود ثم بعد
بيان المعجزة سماهم ظالمين لان
الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع
ويجوز أن يراد بالظلم الشرك كأنهم
بغلوهم فى الجحود ألحقوا بأهل
الشرك حكما أو حقيقة ولما بين
الدليل من جانب النبى صلى الله
عليه وسلم ذكر شبهتهم وهى الفرق
بين المقيس والمقيس عليه وذلك
أن موسى أوتى تسع آيات علم بها
كون الكتاب من عند الله وأنت
ما أوتيت شيأ منها فأرشد الله نبيه
الى الجواب وهو أن يقول (انما
الآيات عند الله) ووجهه أنه ليس
من شرط الرسالة اظهار المعجزة
وانما المعجزة بعد التوقف
فى الرسالة ولهذا علم وجود رسل
كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم
لهم معجزة وكان فى بنى اسرئيل
أنبياء لم تعرف نبوتهم الا بقول
موسى أو غيره فليس على النبى الا
النذارة وأما انزال الآية فالى رحمة الله
اذا شاء تخليص القوم من تصديق
المتنبئ وتكذيب النبى ثم قال
(أولم يكفهم) الآية والمعنى هبوا أن
انزال الآية شرط أليس القرآن المتلو
الذى أخرس شقاشق فصحائهم
كافيا فى بيان الاعجاز (ان فى ذلك)
المتلو على وجه الارضين (لرحمة) من
الله على الخلق والا اشتبه عليهم النبى
بالمتنبئ (وذكرى) ليتعظ بها الناس ما بقى الزمان وانما كانت هذه الرحمة من الله على الخلق والتذكرة مختصة بالمؤمنين فاحشة
لأن المعجزة للكافرين سبب لمزيد الانكار المستلزم لالزام الحجة والخلود فى النار ثم ختم الدلائل بأن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف

فى عبادتهم ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك
❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ يقول
تعالى ذكره فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه فى البحر من الخوف والحذر من الغرق
الى البر اذا هم بعد أن صاروا الى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد ليكفروا بما آتيناهم يقول
ليجحدوا نعمة الله التى أنعمها عليهم فى أنفسهم وأموالهم وليتمتعوا اختلفت القراء فى قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وليتمتعوا بكسر اللام بمعنى وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك وقرأ ذلك
عامة قراء الكوفيين وليتمتعوا بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ أى اكفروا فانكم سوف
تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به * وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة
من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد وذلك أن الذين قرؤه بكسر اللام زعموا أنهم انما
اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التى فى قوله ليكفروا وأن قوله ليكفروا لما كان معناه كى يكفروا
كان الصواب فى قوله وليتمتعوا أن يكون وكى يتمتعوا اذ كان عطفا على قوله ليكفروا عندهم وليس
الذى ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك لان لام قوله ليكفروا صلحت أن تكون بمعنى كى لانها شرط
لقوله اذا هم يشركون بالله كى يكفروا بما آتيناهم من النعم وليس ذلك كذلك فى قوله وليتمتعوا
لان اشراكهم بالله كان كفرا بنعمته وليس اشراكهم به تمتعا بالدنيا وان كان الاشراك به يسهل
لهم سبيل التمتع بها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيهه الى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه الى معنى
وكى يتمتعوا وبعد فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى وتمتعوا وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام
بمعنى الوعيد وقوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش
القائلين لولا أنزل عليه آية من ربه نعمته عليهم التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم
بنعمته واشراكهم فى عبادته الآلهة والانداد أولم يرهؤلاء المشركون من قريش ما خصصناهم به من
نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا فيشكرونا على ذلك وينزجروا عن كفرهم بنا واشراكهم ما لا ينفعهم
ولا يضرهم فى عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما حرمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب آمنا يأمن
فيه من سكنه فأوى اليه من السباء والخوف والحرام الذى لا يأمنه غيرهم من الناس ويتخطف
الناس من حولهم يقول وتسلب الناس من حولهم قتلا وسباء كما حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
قال كان لهم فى ذلك آية أن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون وقوله أفبالباطل يؤمنون يقول
أفبالشرك بالله يقرون بألوهة الأوثان بأن يصدقوا وبنعمة الله التى خصهم بها من أن جعل بلدهم
حرما آمنا يكفرون يعنى بقوله يكفرون يجحدون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله أفبالباطل يؤمنون أى بالشرك وبنعمة الله يكفرون أى يجحدون ❁ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم
مثوى للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا فقالوا اذا فعلوا

وهوقوله (كفى بالله بيني و بينكم شهيدا) وقال فى آخرسورة الرعد قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب لان الكلام هنالك مع المشركين فاستشهد عليهم بأهل الكتاب أيضا وأما هنا فالكلام مع أهل الكتاب فاقتصر على شهادة الله ثم بين كون شهادة الله

فاحشة وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والله لا يأمر بالفحشاء أوكذب بالحق لما جاءه يقول أوكذب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده والبراءة من الآلهة والانداد لما جاءه هذا الحق من عند الله أليس فى جهنم مثوى للكافرين يقول أليس فى النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله وجحد توحيده وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا تقرير وليس باستفهام انما هو كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

انما أخبر أن للكافرين بالله مسكنا فى النار ومنزلا يثوون فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم فينا مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا لنهدينهم سبلنا يقول لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وذلك اصابة دين الله الذى هو الاسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وان الله لمع المحسنين يقول وان الله لمع من أحسن من خلقه فجاهد فيه أهل الشرك مصدقا رسوله فيما جاءه به من عند الله بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله والذين جاهدوا فينا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين جاهدوا فينا فقلت له قاتلوا فينا فقال نعم

آخر تفسير سورة العنكبوت

﴿تفسير سورة الروم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى قبل معنى قوله الم وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله غلبت الروم فى أدنى الأرض اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء الامصار غلبت الروم بضم الغين بمعنى أن فارس غلبت الروم وروى عن ابن عمر وأبي سعيد فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن الحسن الجفرى عن سليط قال سمعت ابن عمر يقرأ الم غلبت الروم فقيل له يا أبا عبد الرحمن على أى شئ غلبوا قال على ريف الشام والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الذى لا يجوز غيره الم غلبت الروم بضم الغين لاجماع الحجة من القراء عليه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام غلبت فارس الروم فى أدنى الارض من أرض الشام الى أرض فارس وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس فى بضع سنين لله الأمر من قبل غلبتهم فارس ومن بعد غلبتهم اياها يقضى فى خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد ويظهر من شاء منهم على من أحب اظهاره عليه ويومئذ

كافية بقوله (يعلم ما فى السموات والارض) ثم هددهم بقوله (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله) وهما متلازمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل الهالك الزائل الزاهق كفر بالله وجحود بحقه (أولئك هم الخاسرون) لا يستحق لهذا الاسم فى الحقيقة غيرهم اذ لا غبن أفحش من اشتراء الباطل بالحق والكفر بالايمان واضاعة العمر فى عبادة ما لا ينفعهم بل يضرهم قيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت اولم يكفهم الآية ويروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت قل كفى الآية فعلى هذا فالآية نازلة فى المشركين وعلى ما مر فهل يتناول اهل الكتاب قالوا نعم لأنه صح عندهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وقطعوا بأنها ليست من عند الله بل من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم فيلزمهم أن يقولوا ان محمدا هو الله فيكون ايمانا بالباطل وكفرا بالله قلت ولعل وجه التناول هو أنهم آمنوا بالمحرف من التوراة وعبدوا العجل والله أعلم ثم ان النضر ابن الحرث وغيره من كفار قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما مر استهزاء منهم وتكذيبا فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى) هو الموت أو يوم بدر أو ما كتب فى اللوح أنه لا يعذب هذه الامة عذاب الاستئصال الى يوم القيامة وقوله (وهم لا يشعرون) تأكيد للبغتة أو هو كلام مستقل أى انهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلا ثم كرر قوله (يستعجلونك بالعذاب)

يفرح المؤمنون بنصر الله يقول و يوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله و رسوله بنصر الله اياهم على المشركين ونصرة الروم على فارس ينصر الله تعالى ذكره من يشاء من خلقه على من يشاء وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر وهو العزيز يقول والله الشديد فى انتقامه من أعدائه لا يمنعه من ذلك مانع ولا يحول بينه و بينه حائل الرحيم بمن تاب من خلقه وراجع طاعته أن يعذبه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن سعيد أوسعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعد من أهل طرسوس قال ثنا أبو اسحق الفزارى عن سفيان بن سعيد الثورى عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لأنهم أهل أوثان قال فذكروا ذلك لابى بكر فذكره أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انهم سيهزمون قال فذكر ذلك أبو بكر للمشركين قال فقالوا أفنجعل بيننا و بينكم أجلا فان غلبوا كان لك كذا وكذا وان غلبنا كان لنا كذا وكذا قال فجعلوا بينهم و بينه أجلا خمس سنين قال فمضت فلم يغلبوا قال فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أفلا جعلته دون العشر قال سعيد والبضع ما دون العشر قال فغلب الروم ثم غلبت قال فذلك قوله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين قال البضع ما دون العشر لله الامر من قبل ومن بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال سفيان فبلغنى أنهم غلبوا يوم بدر حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبان المصرى قال ثنا موسى بن هرون البردى قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا عبد الله ابن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن عبيد الله عن ابن عباس قال لما نزلت الم غلبت الروم فى أدنى الارض الآية ناحب أبو بكر قريشا ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى قد ناحبتهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هلا احتطت فان البضع ما بين الثلاث الى التسع قال الجمحى المناحبة المراهنة وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الم غلبت الروم الى قوله و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال قد مضى كان ذلك فى أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبتهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقى نبى الله صلى الله عليه وسلم مشركى العرب يوم التقت الروم وفارس فنصر الله النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركى العرب ونصر أهل الكتاب على مشركى العجم ففرح المؤمنون بنصر الله اياهم ونصر أهل الكتاب على العجم قال عطية فسألت أبا سعيد الخدرى عن ذلك فقال التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركى العرب ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون غلبتهم فارس ثم غلبت الروم حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال قد مضى الم غلبت الروم حدثنى محمد بن عمرو قال

ثنا

تعجبا منهم وتعجيبا فان من توعد بأمر يسير كلطمة أولكمة يحتمل أن يظهر من نفسه الجلادة و يقول هات ما عندك وأما الذى توعد باحراق ونحوه فكيف يتجلد و يستعجل خصوصا اذا كان الموعد لا يخلف الميعاد و يقدر على كل ما أراد وقوله (لمحيطة) بمعنى الاستقبال أى ستحيط بهم يوم كذا و يجوز أن يكون بمعنى الحال حقيقة لان المعاصى التى توجبها محيطة بهم فى الدنيا أومجازا لان جهنم مآلهم ومرجعهم فكأنها الساعة محيطة بهم والظرف على هذين الوجهين منصوب بمضمر أى (يوم يغشاهم العذاب) كان كيت وكيت وانما خص الغشيان بالفوق والتحت دون باقى الجهات لان نار جهنم بذلك تتميز عن نار الدنيا لان نار الدنيا لا تنزل من فوق ولا تؤثر شعلتها من تحت بل تنطفئ الشعلة تحت القدم وانما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب سواء كان من سمت الرأس أو من موضع آخر وأما الاشتعال من تحت فليس بعجيب الا حيث يحاذى الرجل و يجوز أن يكون زيادة الأرجل تصويرا لوقوفهم فى النار أو لجثوهم فيها وقوله (ذوقوا ما كنتم) أى جزاء ما كنتم تعملونه أمر اهانة وحين ذكر حال الكفرة من أهل الكتاب والمشركين وجمعهم فى الانذار وجعلهم من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا فى ايذاء المؤمنين ومنعهم من عبادة الله فقال (يا عبادى) فان كانت الاضافة للتشريف كقوله عينا يشرب بها عباد الله فقوله (الذين آمنوا) صفة موضحة وان كانت للتخصيص فهى صفة مميزة ومعنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له عبادة الله فى بلد على وجه الاخلاص فليهاجر عنه الى بلد يكون فيه أفرغ بالا وأرفع حالا وأقل عوارض نفسانية وأكمل دواعى روحانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد واعلم أنى عند الوصول

الى تفسيرهذه السورة عنّ لى سفرمن غيراختيار كلى" فأقول متضرعا الى الله الكريم ومستمدّا من اعجاز الفرقان العظيم اللهم ان كنت تعلم أن هذا السفر مشوب بشئ من رضاك فان كل الرضا لا يمكننى ان أراعيه فاجعله سببا لنجح المقاصد وحصول المآرب والاشتمال على الفوائد الدنيوية والدينية والخلاص من شماتة الاعداء الدنية حتى أفرغ لنشر العلوم الشرعية انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف والاجابة جدير والفاء فى قوله (فاياى) للدلالة على أنه جواب الشرط كأنه قال اذا كان لا مانع من عبادتى (فاعبدونى) ثم أريد معنى الاختصاص والاخلاص فقدم المفعول على شريطة التفسير وجىء بالفاء الثانية الدالة على ترتيب المقتضى على المقتضى كما يقال هذا عالم فأكرموه كما مر فى قوله واياى فارهبون فصار حاصل المعنى ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها لى فى غيرها والفائدة فى الامر بالعبادة بعد قوله يا عبادى الدال على العبودية اما المداومة أى يا من عبدتمونى فى الماضى اعبدونى فى المستقبل أو الاخلاص فى العبادة ويجوز أن يقال العبودية غير العبادة فكم من عبد لا يطيع سيده ثم لما أمر المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان والخلان فقال (كل نفس ذائقة الموت) أى ان الذى تكرهون لا بد من وقوعه فالاولى أن يكون ذلك فى سبيل الله (ثم الينا ترجعون) فنثيبكم على ذلك وفيه أن كل نفس ذائقة الموت اضطرارا فمن أراد أن لا يموت أبدا فليمت اختيارا فان أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار ثم بين أن للمؤمنين الجنان فى مقابلة ما للكافرين من النيران وأن فى الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار فى مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين أن ذلك أجر عملهم بقوله (نعم أجر العاملين) بازاء ما بين جزاء عمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله (لنبوئنهم) أى لننزلنهم (من الجنة) عوالى ومن قرأ بالثاء المثلثة فمن الثواء يقال ثوى فى المنزل لازما وأثوى غيره

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الم غلبت الروم الى قوله أكثر الناس لا يعلمون قال ذكر غلبة فارس اياهم وادالة الروم على فارس وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الاوثان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن عكرمة ان الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الارض قالوا وأدنى الارض يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ففرح الكفار بمكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآيات فخرج أبو بكر الصدّيق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبىّ بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر رضى الله عنه أنت أكذب يا عدو الله فقال أنا حبك عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال أزايدك فى الخطر وأمادك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال كانت فى فارس امرأة لا تلد الا الملوك الأبطال فدعاها كسرى فقال انى أريد أن أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيرى علىّ أيهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صرد وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان وهذا شهر براز وهو أحلم من كذا فاستعمل أيهم شئت قال انى قد استعملت الحليم فاستعمل شهر براز فسار الى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم قال أبو بكر فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراسانى فقال أما رأيت بلاد الشام قلت لا قال أما انك لو رأيتها لرأيت المدائن التى خربت والزيتون الذى قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته * قال عطاء الخراسانى ثنى يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهر براز فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض الآيات ثم ذكر مثل حديث عكرمة وزاد فلم يزل شهر براز يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى فبلغهم موته فانهزم شهر براز وأصحابه وأوعبت عليهم الروم عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم قال وقال عكرمة فى حديثه لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب الى شهر براز اذا أتاك كتابى فابعث الىّ برأس فرخان فكتب اليه أيها الملك انك

متعديا الى واحد فانتصاب (غرفا) اما بنزع الخافض واما التضمين الاثواء معنى التبوئة والانزال واما التشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ثم مدح (الذين صبروا) على المكاره فى الحال (وعلى ربهم يتوكلون) فيما يحتاجون اليه فى الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل (٤١)

يحتاج اليه المسافر والمقيم فكما أن المهاجر يصبر على فراق الاوطان ويتوكل فى سفره على الرحمن فالمتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل فى أموره على فضل ذى المنن والصبر والتوكل صفتان لا تحصلان الا مع سعة العلم بالله وبما سوى الله فمن علم أنه باق لا يصبر عنه ولا يتوكل فى الامور الا عليه ومن علم أن ماسواه فان هان عليه الصبر عنه وعلم أنه لا يصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر فى حال الدواب وقال المفسرون لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل منهم يقول كيف أقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها عن الحسن أى لا تدخره وقال غيره لا تطيق حمل الرزق (الله يرزقها) بايجاد غذائها وهدايتها اليه ثم بتشبث ذلك الغذاء بالمغتذى بتوسط قوى أودعها فيها وهيأها لذلك (واياكم) بمثل ما قلنا وبزيادة الاهتداء الى وجوه المكاسب والمعايش وترتيب الملبس والمسكن وتهيئة الاقوات وادخار الاموال وتملكها اختيارا وقهرا ومنه يعلم أن الاشتغال بترتيب بعض الوسائط وتدبيرها لا ينافى التوكل فقد يكون الزارع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل عن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والنملة والفأرة وللعقعق مخابئ الا أنه ينساها وحكى أن البلبل يحتكر فى حضنيه أى يجمع وإذا كان أكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدإ والمعاد العالم بوجوه المكاسب الذى يأتيه الرزق من جهات الارث والعمارة والهدية ونحوها كيف يظاهر على الحطام الزائل

لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وضربا فى العدو فلا تفعل فكتب اليه ان فى رجال فارس خلفا منه فعجل الىّ برأسه فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس انى قد نزعت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة اذا ولى فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه هذه فلما قرأ شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع الصحيفة اليه قال ائتونى بشهربراز فقدمه ليضرب عنقه قال لا تعجل حتى أكتب وصيتى قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلنى بكتاب واحد فرد الملك وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لى اليك حاجة لا يحملها البريد ولا تبلغها الصحف فالقنى ولا تلقنى الا فى خمسين روميا فانى ألقاك فى خمسين فارسيا فأقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتته عيونه أن ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا فى قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهربراز ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخى بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخى فأبيت ثم أمر أخى أن يقتلنى فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك فقال قد أصبتما ثم أشار أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الم غلبت الروم قال غلبتهم فارس على أدنى الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون الآية قال لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص وأجلوا بينهم خمس سنين فولى قمار المسلمين أبو بكر رضى الله عنه وولى قمار المشركين أبىّ بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فحل الأجل ولم يظهر الروم على فارس وسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك أصحاب النبى للنبى صلى الله عليه وسلم قال لم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى العشر وزايدوهم فى القمار وماذوهم فى الاجل ففعلوا ذلك فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين من قمارهم الاول وكان ذلك مرجعه من الحديبية ففرح المسلمون بصلحهم الذى كان وبظهور أهل الكتاب على المجوس وكان ذلك مما شدّد الله به الاسلام وهو قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآية حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون قال كان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب قال فنزل القرآن بذلك قال وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس لانهم أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن داود بن أبى هند عن عامر عن عبد الله قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم الى فى بضع سنين قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس فى بضع سنين قال صدق قالوا هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربع قلائص الى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شئ ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع

سنين

أشد حرص (وهو السميع) لدعاء طلبة الرزق (العليم) بطو ياتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب أهل العجب من حال المشركين من أهل مكة وغيرهم لم يعبدوا الله مخلصين مع علمهم بأنه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون (١٥) عن توحيد الله فان من علمت عظمته وجبت خدمته ولا عظمة فوق عظمة خالق الذوات واليه أشار بخلق الارض والسموات وموجد الصفات واليه الاشارة بتسخير الشمس والقمر ولا حقارة فوق حقارة الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة أشرف الموجودات ويشتغلون بعبادة أخس المخلوقات وحين ذكر الخلق أتبعه ذكر الرزق وحكمة البسط والقبض فى ذلك الباب ومعنى (يقدر) يضيق فالضمير فى (له) اما للشخص المعين المبسوط له والمراد أن تعاقب الامرين عليه بمشيئة الله واما المبهم غير معين كأن الضمير وضع موضع من يشاء وفى قوله (ان الله بكل شئ عليم) اشارة الى أنه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق أوصله اليه من غير تأخير ان شاء ثم احتج على المشركين بوجه آخر وهو اعترافهم بأن احياء الارض الميتة بواسطة تنزيل ماء السماء هو من الله ثم قال (قل الحمد لله) وهو كلام مستقل على سبيل الاعتراض أو هو متصل بما قبله كأنه استحمد رسوله على البراءة من التناقض والتهافت خلاف أهل الشرك المعترفين بأن النعمة من الله ثم يتركون عبادته الى عبادة الصنم الذى لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه أن العالم اذا لم يعمل بعلمه انخرط فى سلك من لا عقل له ولهذا عقبه بقوله (بل أكثرهم لا يعقلون) وقال جار الله أراد لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم واعلم أن المشركين معترفون بأن الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها حملتهم على موافقة أهل الشرك

سنين عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى قوله وعد الله لا يخلف الله وعده حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش ومطر عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال مضت الروم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الم غلبت الروم فى أدنى الارض قال أدنى الارض الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال كانت فارس قد غلبت الروم ثم أديل الروم على فارس وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الروم ستغلب فارسا فقال المشركون هذا مما يتخرص محمد فقال أبو بكر تناحبونى والمناحبة المجاعلة قالوا نعم فناحبهم أبو بكر فجعل السنين أربعا أو خمسا ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البضع فيما بين الثلاث الى التسع فارجع الى القوم فزد فى المناحبة فرجع اليهم قالوا فناحبهم فزاد قال فغلبت الروم فارسا فذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء يوم أديلت الروم على فارس حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية ابن عمرو عن أبى اسحق الفزارى عن سفيان عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الم غلبت الروم قال غلبت وغلبت فأما الذين قرؤا ذلك غلبت الروم بفتح الغين فانهم قالوا نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن سليمن يعنى الأعمش عن عطية عن أبى سعيد قال لما كان يوم ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت الروم على فارس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن سليمن عن عطية عن أبى سعيد قال لما كان يوم بدر غلبت الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى آخر الآية حدثنا يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين لانهم أهل كتاب فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض قال كانوا قد غلبوا قبل ذلك ثم قرأ حتى بلغ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقوله فى أدنى الارض قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل وأذكر قول من لم يذكر قوله حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى أدنى الارض يقول فى طرف الشام ومعنى قوله أدنى أقرب وهو أفعل من الدنو والقرب وانما معناه فى أدنى الارض من فارس فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله فى أدنى الارض عليه منه وقوله وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس وقوله من بعد غلبهم مصدر من قول القائل غلبته غلبة فحذفت الهاء من الغلبة وقيل من بعد غلبهم ولم يقل من بعد غلبتهم للاضافة كما حذفت من قوله واقام الصلاة للاضافة وانما الكلام واقامة الصلاة واما قوله سيغلبون فان القراء أجمعين على فتح الياء فيها والواجب على قراءة من قرأ الم غلبت الروم بفتح الغين ان يقرأ قوله سيغلبون بضم الياء فيكون معناه وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون حتى يصح معنى الكلام والا لم يكن للكلام كبير معنى ان فتحت الياء لان الخبر عما قد كان يصير الى الخبر عن أنه سيكون وذلك افساد أحد الخبرين بالآخر وقوله فى بضع سنين قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معنى البضع فيما مضى

والمداومة على الدين الباطل فصغر الله تعالى أمر الدنيا وعظم أمر الآخرة ليعلم أن رعاية جانب الآخرة أهم من رعاية صلاح الدنيا قال أهل العلم الاقبال على الباطل لعب والاعراض (١٦) عن الحق لهو والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن أن يقال المشتغل بها لا على وجه الاستغراق بل على وجه يفرغ لبعض أمور الآخرة لاعب والمشغول بها بحيث ينسى الآخرة بالكلية لاه وحين كان الكلام في الانعام بعد ذكر الآخرة وما يجري فيها من الحيرة والحسرة قدم اللعب هنالك لان الاستغراق الكلي بالنسبة الى أهل الآخرة أبعد فأخر الأبعد ولما كان المذكور ههنا من قبيل الدنيا ولهذا أشار اليها بقوله وما هذه الحياة الدنيا وقال في الانعام وما الحياة الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلا جرم قدم اللهو ويحتمل أن يقال انه تعالى قدم اللعب على اللهو في موضعين من الانعام وكذلك في القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديد وقدم اللهو على اللعب في الأعراف والعنكبوت فاللعب مقدم في الأكثر لان اللعب زمانه الصبا واللهو زمانه الشباب وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب «تنبيه» ماذكر في الحديد اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان وتكاثر كتكاثر السلطان وقدم اللهو في الأعراف لان ذلك في القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما بدأ به الانسان وانتهى من الجانبين وأما هذه السورة فأراد فيها ذكر سرعة زمان انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى زمان الآخرة فبدأ بذكر ما هو أكثر ليكون الى المقصود أقرب ثم ان الحال في سورة الانعام لما كانت حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف الى وازع قوي فاقتصر على قوله وللدار الآخرة خير ولما كان الحال ههنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع أقوى فقال (وان الدار الآخرة لهي الحيوان)

وأتينا على الصحيح من أقوالهم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا خلاد بن أسلم الصفار عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن ابن الحرث عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قلت له ما البضع قال زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع وأما قوله لله الامر من قبل ومن بعد فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لله الامر من قبل دولة فارس على الروم ومن بعد دولة الروم على فارس وأما قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل وبينا معناه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وعد الله جل ثناؤه وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ونصب وعد الله على المصدر من قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون فكأنه قال وعد الله ذلك المؤمنين وعدا لا يخلف الله وعده يقول تعالى ذكره ان الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس لا يخلفهم وعده ذلك لانه ليس في مواعيده خلف ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين من أن الروم تغلب فارس لا يعلمون أن ذلك كذلك وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله اخلاف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يقول تعالى ذكره يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا وتدبير معايشهم فيها وما يصلحهم وهم عن أمر آخرتهم وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون لا يفكرون فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح الانصاري قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنا يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني معايشهم متى يحصدون ومتى يغرسون حدثني أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا عمرو بن عثمان بن عمر عن عاصم بن علي قال ثنا أبو تميلة قال ثنا ابن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال متى يزرعون متى يغرسون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثني شرقي عن عكرمة في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال هو السراج أو نحوه حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبعي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن شرقي عن عكرمة في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراجون حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا شعبة عن شرقي عن عكرمة في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال الخرازون والسراجون حدثنا بشر بن آدم قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثني بشر بن آدم قال ثنا الضحاك بن مخلد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة وعن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ظاهرا من الحياة الدنيا يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال حدثني ابن وكيع قال ثني

ثنى أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا من حرفتها وتصرفها وبغيتها وهم عن الآخرة هم غافلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن الحسن قال يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم * قال ثنا حفص بن راشد الهلالى عن شعبة عن شرقى عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراج ونحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال صرفها فى معيشتها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (١) * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال تسترق الشياطين السمع فيسمعون الكلمة التى قد نزلت ينبغى لها أن تكون فى الارض قال ويرمون بالشهب فلا ينجو أن يحترق أو يصيبه شرر منه قال فيسقط فلا يعود أبدا قال ويرمى بذلك الذى سمع الى أوليائه من الانس قال فيحملون عليه ألف كذبة قال فما رأيت الناس يقولون يكون كذا وكذا قال فيجىء الصحيح منه كما يقولون الذى سمعوه من السماء ويعقبه من الكذب الذى يخوضون فيه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك فى خلق الله اياهم وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا ثم يجازى المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله لأنه العدل الذى لا يجور ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالعدل واقامة الحق وأجل مسمى يقول وبأجل مؤقت مسمى اذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله وبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون جهلا منهم بأن معادهم الى الله بعد فنائهم وغفلة منهم عن الآخرة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة من قريش فى البلاد التى يسلكونها تجرا فينظروا الى آثار الله فيمن كان قبلهم من الامم المكذبة كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها فقد كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض يقول واستخرجوا الارض وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم فلم يقدروا على الامتناع مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الارض اذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات فكذبوهم فأحل الله بهم بأسه فما كان الله ليظلمهم بعقابه اياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم

(١) كذا فى النسخ ولم يذكر التفسير ولعله سقط من قلم الناسخ وحرر

اى لا حياة الا حياة الآخرة وليس فيها الا حياة مستمرة دائمة بلا موت فكأنها فى ذاتها حياة ولا يخفى ما فى التركيب من انواع المبالغة من جهة ان ومن جهة صيغة الفصل ولام التأكيد وبناء الفعلان بتحريك العين وهو مصدر حى بياءين لقدماعينه ياء ولامه واو ولو كانا واوين لقيل حوى مثل قوى وقياسه حييان بياءين قلبت الثانية واوا على منوال حيوة فى اسم رجل ولان المبالغة ههنا أزيد مما فى الانعام قال ههنا (لو كانوا يعلمون) وهنالك أفلا تعقلون لان المعلوم أكثر مقدمة من المعقول وقد مر فى السورة ثم أشار بقوله (فاذا ركبوا فى الفلك) الى أن المانع من التوحيد والاخلاص هو الحياة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والاخلاص فاذا نجاهم الى البر عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا لاجلها ثم بين أن نعمة الأمن يجب أن تقابل بالشكر لا بالكفر فقال (أولم يروا) الآية وقد مر مثله فى القصص ثم ذكر أن الذين سمعوا البيانات المذكورة ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم لأن من وضع شيأ فى غير موضعه فهو ظالم فمن وضع شيأ فى موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم وانهم جعلوا لله شريكا مع عدم امكان الشريك له فلا أظلم منهم وأيضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله وانهم كذبوا النبى والقرآن وفى قوله (لما جاءه) اشارة الى أنهم لم يتلعثموا فى التكذيب وقت أن سمعوه ولم يستعملوا التدبر والتفكر فيما يجب أن يستعمل فيه التأنى والتثبت وهذا أيضا نوع من الظلم بل ظلم مضموم الى ظلم وفى قوله (أليس) معنيان بعد كون الاستفهام للتقرير فان أريد نفى الحال فمعناه ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا على مثل هذه الجرأة وان أريد نفى الاستقبال فالمراد ألا يثوون فى جهنم

ربهم * ونحو الذي قلنا في تأويل قوله وأثاروا الأرض قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها قال ملكوا الأرض وعمروها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأثاروا الأرض قال حرثوها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يسيروا في الأرض إلى قوله وأثاروا الأرض وعمروها كقوله وآثارا في الأرض وقوله وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء وجاءتهم رسلهم بالبينات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله وكذبوا رسله فأساؤا بذلك من فعلهم السوأى يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم أما في الدنيا فالبوار والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الذين أشركوا السوأى أي النار حدثني علي قال ثني أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى يقول الذين كفروا جزاؤهم العذاب * وكان بعض أهل العربية يقول السوأى في هذا الموضع مصدر مثل البقوى وخالفه في ذلك غيره فقال هي اسم وقوله أن كذبوا بآيات الله يقول كانت لهم السوأى لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن يقول وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير فيحدثه من غير شيء بل بقدرته عز وجل ثم يعيده خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه كما بدأه خلقا سويا ولم يك شيئا ثم إليه ترجعون يقول ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردون فيحشرون لفصل القضاء بينهم وليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه وينشر فيها الموتى من قبورهم فيحشرهم إلى موقف الحساب يبلس المجرمون يقول ييأس الذين أشركوا بالله واكتسبوا في الدنيا مساوي الأعمال من كل شر ويكتئبون ويتندمون كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

* ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبلس قال يكتئب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يبلس المجرمون أي في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في

قول

وقد افتروا على الله وكذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المنصف لأنه قدم مقدمة هي أنه لا أظلم من المفتري وهو المتنبي ومن الذي كذب النبي ثم ذكر أن جهنم مقام الكافر سواء كان هو المتنبي (١٨) أو المكذب للنبي فهو كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ثم ختم السورة بآية جامعة فيها تسلية قلوب المؤمنين والمراد أن من جاهد النفس أو الشيطان الجني والإنسي (فينا) أي في حقنا ومن أجل رضانا خالصا (لنهدينهم) سبيل الجنة أو سبيل الخير بإعطاء مزيد الألطاف والتوفيق وقيل والذين جاهدوا فيما علموا ولم يقصروا في العمل به لنهدينهم إلى ما لم يعلموا وهو قريب من قول الحكيم إن النظر في المقدمات يعد النفس لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الجسمانية والعقلية وقوله (وإن الله لمع المحسنين) أي بالنصر والإعانة إشارة إلى مرتبة أعلى من الاستدلال وهو الذي يسمى العلم اللدني فكأنه تعالى أشار في خاتمة السورة إلى الفرق الثلاث فأشار إلى الناقصين بقوله ومن أظلم وذلك أنهم صرفوا الاستعداد في غير ما خلق لأجله وإلى المتوسطين الذين يحصلون العلم بالكد بقوله والذين جاهدوا وإلى أصحاب الحدس وصفاء الضمير بقوله وإن الله لمع المحسنين والله أعلم بمراده ۞ التأويل وما يعقلها إلا العالمون بالله لأن عقولهم مؤيدة بأنوار العلم اللدني إن في ذلك لآية للمؤمنين الذين ينظرون بنور الله فإن النور لا يرى إلا بالنور اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة فيه أن التلاوة والعمل به يجب أن يتقارنا حتى يتخلق بخلق القرآن ويحصل الانتهاء عن الفحشاء وهي طلب الدنيا والمنكر وهو الالتفات إلى غير الله فإن لم تكن الصلاة متصفة بذلك فهي كلا صلاة ولذكر الله في إزالة مرض القلب أكبر من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة لأن القلب لا يطمئن إلا بذكر الله وعند الاطمئنان توجد سلامة القلب فالذكر له خاصية الإكسير في جعل الإبريز ذهبا خالصا

قول الله و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال المبلس الذى قد نزل به الشر اذا أبلس الرجل فقد نزل به بلاء وقوله ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يقول تعالى ذكره و يوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم على ما دعوهم اليه من الضلالة فيشاركونهم فى الكفر بالله والمعاونة على أذى رسله شفعاء يشفعون لهم عند الله فيستنقذوهم من عذابه وكانوا بشركائهم كافرين يقول وكانوا بشركائهم فى الضلالة والمعاونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين يجحدون ولايتهم و يتبرؤن منهم كما قال جل ثناؤه اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون﴾ يقول تعالى ذكره و يوم تجىء الساعة التى يحشر فيها الخلق الى الله يومئذ يقول فى ذلك اليوم يتفرقون يعنى يتفرق أهل الايمان بالله وأهل الكفر به فأما أهل الايمان فيؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال الى النار فهنالك يميز الله الخبيث من الطيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون قال فرقة والله لا اجتماع بعدها فأما الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه فهم فى روضة يحبرون يقول فهم فى الرياحين والنباتات الملتفة و بين أنواع الزهر فى الجنان يسرون و يلذذون بالسماع وطيب العيش الهنىّ وانما خص جل ثناؤه ذكر الروضة فى هذا الموضع لانه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض و يدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بنى ثعلبة

ما روضة من رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

فأعلمهم بذلك تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق واللذيذ من الأراييح والعيش الهنىّ فيما يحبون ويسرون به و يغبطون عليه والحبرة عند العرب السرور والغبطة قال العجاج

فالحمد لله الذى أعطى الحبر * موالى الحق ان المولى شكر

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فهم فى روضة يكرمون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فهم فى روضة يحبرون قال يكرمون * وقال آخرون معناه ينعمون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحبرون قال ينعمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فهم فى روضة يحبرون قال ينعمون * وقال آخرون يلذذون بالسماع والغناء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنى عامر بن يساف قال سألت يحيى بن أبى كثير عن قول الله فهم فى روضة يحبرون قال الحبرة اللذة

والله يعلم ما تصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وآداب الطريقة لفتح أبواب طلاسم الوجود المجازى والوصول الى الكنز الخفى ولا تجادلوا يا أرباب القلوب أهل العلم الظاهر الا بطريق الانصاف والرفق الا الذين ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ لا تجادلوهم اذ لا يرجى منهم قبول الحق والاذعان له فخلوا بينهم و بين باطلهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا من العلوم الباطنة وأنزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك أى كما أنزلنا الدلائل والبراهين العقلية على أهل الظاهر أنزلنا عليكم الكشوف والمعارف فالذين آتيناهم الكتاب وهم أرباب القلوب يصدقون به ومن هؤلاء العلماء الظاهريين من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الذين يشترون الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه أن القلب اذا كان خاليا عن النقوش الفاسدة كان أقبل للعلوم اللدنية كقلب النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى أن قلوب الخواص خزائن الغيب سأل موسى عليه السلام الهى أين أطلبك فقال أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلى ثم أشار بقوله وما يجحد الى أن الحرمان من الرؤية من خصوصية الرين ولهذا قالوا لولا أنزل عليه آية وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم أشار الى ظلومية الانسان وجهوليته بأنه يستعجل بالعذاب مع عدم صبره عليه وان جهنم الحرص وغيره من الاخلاق الذميمة لمحيطة بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت أرجلهم وهو الحرص والشره والشهوة وهم لا يشعرون لانهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا ياعبادى ان أرضى حضرة جلالى واسعة فهاجروا بالخروج من حبس وجودكم الى سرادقات هويتى كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنكم من جنة الوصال غرفا من المعارف تجرى من تحتها أنهار الحكمة الذين صبروا فى البداية على حبس النفس بالفطام عن المرام وفى الوسط على تجرع القلب كاسات التقدير من غير تعبير وفى النهاية صبروا

والسماع حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عامر بن يساف عن يحيى بن أبي كثير مثله وكل هذه الالفاظ التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه تعود الى معنى ما قلنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة فأولئك في عذاب الله محضرون وقد أحضرهم الله اياها فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾ يقول تعالى ذكره فسبحوا الله أيها الناس أي صلوا له حين تمسون وذلك صلاة المغرب وحين تصبحون وذلك صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض يقول وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة والارض من أهلها من جميع أصناف خلقه فيها وعشيا يقول وسبحوه أيضا عشيا وذلك صلاة العصر وحين تظهرون يقول وحين تدخلون في وقت الظهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله قال نعم فسبحان الله حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر قال ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن قال نعم فقرأ فسبحان الله حين تمسون قال صلاة المغرب وحين تصبحون قال صلاة الصبح وعشيا قال صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ثم قرأ ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس قال جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة فسبحان الله حين تمسون قال المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس بنحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس في قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وحين تظهرون قال جمعت الصلوات فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمن الرازي عن أبي سنان عن ليث عن مجاهد فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وكل سجدة في القرآن فهي صلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسبحان الله حين تمسون لصلاة المغرب وحين تصبحون لصلاة الصبح وعشيا لصلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر أربع صلوات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فسبحان الله حين تمسون وحين

على بذل الروح لنيل الفتوح وكأين من دابة تشخص كالدابة لا تحمل النظر عن رزقها الضعف نفسها عن التوكل الله يرزقها واياكم أيها الطالبون للمشاهدات والمكاشفات ليقولن الله لأن كلهم قالوا في الازل بلى عند خطاب ألست بربكم والفرق اثبات الشريك ونفيه وذلك لعدم اصابة النور المرشش واصابته دليله قوله الله يبسط الرزق باصابته النور ويقدر باخطائه ان الله عليم باستحقاق كل فريق من نزل من سماء الروحانية ماء الايمان فأحيا به أرض القلوب لهي الحيوان لأن جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث ان الجنة وما فيها من الاشجار والاثمار والغرف والحيطان والانهار حتى ترابها وحصباؤها كلها حي قلت ولعل ذلك لبقاء كل منها على كماله الآخر ثم بين بقوله فاذا ركبوا أن اخلاص المؤمن ثابت واخلاص الكافر مضطرب ثم بين أن حرم القلب آمن وما حوله من صفات النفس ومشاهدة ربها مظنة تصرف الشيطان فمن افترى على الله بأن لا يكون له مع الله وقت وحال ويظهر ذلك من نفسه أو كذب طريقة أهل الحق جاهدوا فينا يخرج منه مجاهدة الرهبانيين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم لأنهم مرتاضون رياء وكسلا

﴿سورة الروم وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون وكلماتها ثمانمائة وتسعة عشر آياتها ستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون

تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قال حين تمسون صلاة المغرب وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ يقول تعالى ذكره صلوا في هذه الاوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس لله الذي يخرج الحي من الميت وهو الانسان الحي من الماء الميت ويخرج الماء الميت من الانسان الحي ويحيي الارض بعد موتها فينبتها او يخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها وكذلك تخرجون يقول كما يحيي الارض بعد موتها فيخرج نباتها او زرعها كذلك يحييكم من بعد مماتكم فيخرجكم أحياء من قبوركم الى موقف الحساب * وقد بينا فيما مضى قبل تأويل قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك ان شاء الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال يخرج من الانسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا فذلك الميت من الحي ويخرج الحي من الميت فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشرا فذلك الحي من الميت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال النطفة من الرجل ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من انشاء وافناء وايجاد واعدام وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب يعني بذلك خلق آدم من تراب فوصفهم بأنه خلقهم من تراب اذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم فعلنا بكم وفعلنا وقوله ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يقول ثم اذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب بشر تنتشرون يقول تتصرفون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلقكم من تراب خلق آدم عليه السلام من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يعني ذريته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن اليها وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا خلقها لكم من ضلع من أضلاعه وقوله وجعل بينكم مودة ورحمة يقول جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون بها وتتواصلون من أجلها ورحمة رحمكم بها فعطف بعضكم بذلك على بعض ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته فيعلمون أنه الاله الذي لا يعجزه شيء أراده ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم

ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل
الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله

التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (٣٢) كل حزب بمالديهم فرحون﴾ ۞ القرا آت عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون بالرفع السوأى بالامالة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحماد يرجعون على الغيبة أبو عمرو غير عباس وأوقية وسهل ويحيي وحماد تخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلى وخلف الباقون مجهولا للعالمين بكسر اللام حفص يفصل على الغيبة عباس الآخرون بالنون ۞ الوقوف الم كوفى غلبت الروم ٥ سيغلبون ٥ سنين ٥ ومن بعد ط المؤمنون ٥ بنصر الله ط وكلاهما مبنى على أن قوله بنصر الله يتعلق بيفرح ينصر من يشاء ط الرحيم ٥ وعد الله ٥ لايعلمون ٥ الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل أولى غافلون ٥ فى أنفسهم ط لحق الحذف أى فيعلموا ذلك أو فيقولوا هذا القول مسمى ط لكافرون ٥ من قبلهم ط بالبينات ط يظلمون ٥ لا لأن ثم لترتيب الاخبار يستهزؤن ٥ يرجعون ٥ المجرمون ٥ والوصل جائز كافرين ٥ يتفرقون ٥ يحبرون ٥ محضرون ٥ تصبحون ٥ تظهرون ٥ بعد موتها ط تخرجون ٥ تنتشرون ٥ ورحمة ط يتفكرون ٥ وألوانكم ط للعالمين ٥ من فضله ط يسمعون ٥ موتها ط يعقلون ٥ بأمره ط لأن ثم لترتيب الاخبار دعوة لا وقيل على من الارض وكلاهما تعسف والحق أن قوله من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوت زيدا من بيته لا كقولك دعوته من بيتى تخرجون ٥ والارض ط قانتون ٥ أهون عليه ج والارض ط الحكيم ٥ لايقع من أنفسكم ط لانتهاء الاخبار الى الاستفهام كخيفتكم أنفسكم ط يعقلون ٥ بغير علم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء أضل الله ط

وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لايعجزه شئ وأنه اذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ثم اذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل اماتته اياه خلقه السموات والارض من غير شئ أحدث ذلك منه بل بقدرته التى لا يمتنع معها عليه شئ أراده واختلاف ألسنتكم يقول واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها وألوانكم يقول واختلاف ألوان أجسامكم ان فى ذلك لآيات للعالمين يقول ان فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه اعادتهم لهيئتهم التى كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم وقد بينا معنى العالمين فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والاوقات ومخالفته بين الليل والنهار فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه وتنامون فيه وجعل النهار مضيأ لتصرفكم فى معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان فى فعل الله ذلك كذلك لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شئ أراده لقوم يسمعون مواعظ الله فيتعظون بها ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه يريكم البرق خوفا لكم اذا كنتم سفرا أن تمطروا فتتأذوا به وطمعا لكم اذا كنتم فى اقامة أن تمطروا فتحيوا وتخصبوا وينزل من السماء ماء يقول وينزل من السماء مطرا فيحيي بذلك الماء الارض الميتة فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها يعنى جدوبها ودروسها ان فى ذلك لآيات يقول ان فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا قال خوفا للمسافر وطمعا للمقيم واختلف أهل العربية فى وجه سقوط أن فى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فقال بعض نحويى البصرة لم يذكرها هنا أن لان هذا يدل على المعنى وقال الشاعر

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

قال وقال

لو قلت ما فى قومها لم تيثم * يفضلها فى حسب وميسم

وقال يريد ما فى قومها أحد وقال بعض نحويى الكوفيين اذا أظهرت أن فهى فى موضع رفع كما قال ومن آياته خلق السموات ومنامكم فاذا حذفت جعلت من مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل صلة له كقول الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

كأنه أراد فمنهما ساعة أموتها وساعة أعيشها وكذلك ومن آياته يريكم آية البرق وآية لكذا وان شئت أردت ويريكم من آياته البرق فلا تضمر أن ولا غيره وقال بعض من أنكر قول البصرى انما ينبغى أن تحذف أن من الموضع الذى يدل على حذفها فأما فى كل موضع فلا فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم وزجرتك لأن تقوم يدل على الاستقبال جاز حذف أن لان الموضع معروف

لتمام الاستفهام وابتداء النفي ناصرين ٥ حنيفا ط عليها ط لخلق الله ط القيم ٥ لا للاستدراك لا يعلمون ٥ قيل لا وقف
عليه بناء على أن منيبين حال من ضمير أقم على أن الامر له ولأمته مثل يا أيها النبي اذا طلقتم والوقف أوضح لبعد العامل

لا يقع في كل الكلام فأما قوله ومن آياته أنك قائم وأنك تقوم وأن تقوم فهذا الموضع لا يحذف لانه لا يدل على شئ واحد * والصواب من القول في ذلك أن من في قوله ومن آياته تدل على المحذوف وذلك أنها تأتي بمعنى التبعيض واذا كانت كذلك كان معلوما أنها تقتضي البعض فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء قيام السماء والارض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون يقول اذا أنتم تخرجون من الارض اذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته اياكم ۞ و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره قامتا بأمره بغير عمد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون قال دعاهم فخرجوا من الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذا أنتم تخرجون يقول من الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولله من في السموات والارض من ملك وجن وانس عبيد وملك كل له قانتون يقول كل له مطيعون فيقول قائل وكيف قيل كل له قانتون وقد علم أن أكثر الانس والجن له عاصون فنقول اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فنذكر اختلافهم ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول فقال بعضهم ذلك كلام مخرجه مخرج العموم والمراد به الخصوص ومعناه كل له قانتون في الحياة والبقاء والموت والفناء والبعث والنشور لا يمتنع عليه شئ من ذلك وان عصاه بعضهم في غير ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره الى كل له قانتون يقول مطيعون يعني الحياة والنشور والموت وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة * وقال آخرون بل معنى ذلك كل له قانتون باقرارهم بأنه ربهم وخالقهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له قانتون أي مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه * وقال آخرون هو على الخصوص والمعنى وله من في السموات والارض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كل له قانتون قال كل له مطيعون المطيع القانت قال وليس شئ الا وهو مطيع الا ابن آدم وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله وفي قوله وقوموا لله قانتين قال هذا في الصلاة لا تتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة قال وأهل الكتاب يمشي بعضهم الى بعض في الصلاة قال و يتقابلون في الصلاة فاذا قيل لهم في ذلك قالوا لكي تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض فقال الله وقوموا لله قانتين لا تزولوا كما يزولون قانتين لا تتكلموا كما يتكلمون قال فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة الا هذه الواحدة * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وهو أن كل من في السموات والارض من خلق الله مطيع في تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت

عن المعمول بل التقدير كونوا منيبين بدليل قوله ولا تكونوا من المشركين لأن قوله من الذين كالبدل مما قبله شيعا ط فرحون ٥ ۞ التفسير وجه تعلق السورة بما قبلها هو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين ما أمر الله به صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان يحقر آلهتهم و ينسبها الى العجز وعدم النفع والضر وكان اهل الكتاب يوافقون المسلمين في الاله وفي كثير من الأحكام ولذلك قال ولا تجادلوا أهل الكتاب الى قوله والهنا والهكم واحد فلا جرم أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم في الأمور فاتفق أن بعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر يران فسار الى الروم بأهل فارس فظفر عليهم وقتلهم وخرب مدائنهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس فالتقى مع شهر يران بأذرعات و بصرى وهو أدنى الشام الى أرض العرب واليه الاشارة بقوله (أدنى الارض) لان الارض المعهودة عند العرب هي أرضهم أي غلبوا في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشام وجوز جار الله أن يراد بأرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم وهذا تفسير مجاهد لانه قال هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس عن ابن عباس الأردن وفلسطين ففرح المشركون بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق فقد يبتلي المحبوب و يعجل عذابه ليسلم في الآجل وقوله (في أدنى الارض) اشارة الى ضعفهم أي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم بين أن الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك

وما أشبه ذلك وان عصاه فيما يكسبه بقوله وفعله السبيل الى اختياره وايثاره على خلافه وانما قلت ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك لان العصاة من خلقه فيما لهم السبيل الى اكتسابه كثير عددهم وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص واذا كان ذلك كذلك فالذى فيه عاص هو ما وصفت والذى هو له قانت ما بينت وقوله وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده بعد أن لم يكن شيأ ثم يفنيه بعد ذلك ثم يعيده كما بدأه بعد فنائه وهو أهون عليه * اختلف أهل التأويل فى معنى قوله وهو أهون عليه فقال بعضهم معناه وهو هين عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد العطار عن سفيان عمن ذكره عن منذر الثورى عن الربيع بن خيثم وهو أهون عليه قال ما شئ عليه بعزيز حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه يقول كل شئ عليه هين * وقال آخرون معناه واعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو أهون عليه قال يقول أيسر عليه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهو أهون عليه قال الاعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة قرأ هذا الحرف وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال تعجب الكفار من احياء الله الموتى قال فنزلت هذه الآية وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه اعادة الخلق أهون عليه من ابداء الخلق حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة بنحوه الا أنه قال اعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو أهون عليه يقول اعادته أهون عليه من بدئه وكل على الله هين وفى بعض القراءة وكل على الله هين وقد يحتمل هذا الكلام وجهين غير القولين اللذين ذكرت وهو أن يكون معناه وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون على الخلق أى اعادة الشئ أهون على الخلق من ابتدائه والذى ذكرنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثنى به ابن سعد قول أيضا له وجه وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذى الرمة

أخى قفرات دببت فى عظامه * شفافات أعجاز الكرى فهو أخضع(١)

الى أنه بمعنى خاضع وقول الآخر

لعمرك ان الزبرقان لباذل * لمعروفه عند السنين وأفضل
كريم له عن كل ذم تأخر * وفى كل أسباب المكارم أول

الى أنه بمعنى وفاضل وقول معن

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول

الى أنه بمعنى وانى لوجل وقول الآخر

تمنى مرئ القيس موتى وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

(١) أى بقايا أواخر النوم فهو أخضع أى منكسر

الضعف العظيم وكل ذلك دليل على أن الامر بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل تلك المدة ومن بعد ذلك وقد وقع كما أخبر فغلبت الروم على فارس حتى وصلوا الى المدائن وبنوا هنالك الرومية قال المفسرون لما نزلت الآية قال أبو بكر للمشركين لأقرّن الله أعينكم والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبىّ بن خلف كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين فلما أراد أبو بكر أن يخرج من مكة أتاه أبىّ فلزمه وطلب كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن أبى بكر فلما أراد أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله فلزمه الى أن أقام كفيلا ثم خرج الى أحد ثم رجع أبىّ فمات بمكة من جراحته التى جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبىّ وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتصدق به قالت العلماء انما أبهم الوقت لان الكفار كانوا معاندين والامور التى تقع فى البلاد الشاسعة قلما يحصل الاتفاق على وقتها المعين من السنة والشهر واليوم والساعة وان كان معلوما للنبى باعلام الله اياه فالمعاند كان يتمكن من الارجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها ليحصل الخلف فى الميعاد ولكن المعاند لا يتمكن من انكار الواقعة فى البضع (ويومئذ) أى يوم يغلب الروم فارس ويحصل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وبغلبة من له كتاب على من لا كتاب له أو بغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به نبيهم من غلبة الروم وعن أبى سعيد الخدرى

الى

الى أنه بمعنى لست فيها بواحد وقول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

الى أنه بمعنى عزيزة طويلة قالوا ومنه قولهم فى الأذان الله أكبر بمعنى الله كبير وقالوا ان قال قائل ان الله لا يوصف بهذا وانما يوصف به الخلق فزعم أنه وهو أهون على الخلق فان الحجة عليه قول الله وكان ذلك على الله يسيرا وقوله ولا يؤده حفظهما أى لا يثقله حفظهما وقوله وله المثل الأعلى يقول ولله المثل الأعلى فى السموات والارض وهو أنه لا اله الا هو وحده لا شريك له ليس كمثله شئ فذلك المثل الأعلى تعالى ربنا وتقدّس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وله المثل الأعلى فى السموات يقول ليس كمثله شئ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله المثل الأعلى فى السموات والارض مثله أنه لا اله الا هو ولا رب غيره وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفهم فيما أراد من احياء واماتة وبعث ونشر وما شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم يقول من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من مال فأنتم فيه سواء وهم يقول فاذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم اياى وأنتم وهم عبيدى ومماليكى وأنا مالك جميعكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال مثل ضربه الله لمن عدل به شيأ من خلقه يقول أكان أحدكم مشاركا مملوكه فى فراشه وزوجته فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال تجد أحدا يجعل عبده هكذا فى ماله فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى وتجعل لهم نصيبا فى عبادتى كيف يكون هذا قال وهذا مثل ضربه الله لهم وقرأ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم فقال بعضهم معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم كما يرث بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال فى الآلهة وفيه يقول تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا * وقال آخرون بل معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قال أبو مجلز ان مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له * وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك القول الثانى لانه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ

وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله وذلك أن خبر الكسر لم يصل اليهم فى ذلك اليوم بعينه فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده ولناصر القولين الاولين أن يقول أقيم سبب الفرح مقام الفرح او المراد باليوم الوقت الواسع الشامل لما بين زمان وقوع الكسر الى زمان وصول خبر الكسر الموجب للفرح ومن علق قوله بنصر الله بقوله يفرح بناء على أن المقصود بيان أن النصرة بيد الله لا بيان وقوع النصرة لم يقف ههنا ووقف على المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) فاذا سلط العدو على الحبيب فلعزته واستغنائه عن العالمين واذا نصر الحبيب فلرحمته عليه أو نقول ان نصر المحب فلعزته واستغنائه عنه ورحمته فى الآخرة واصلة اليه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما سبق فى معنى الوعد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه لا خلف فى وعده لانهم بله فى أمور الدين وفى ابدال قوله (يعلمون) من قوله لا يعلمون أو فى بيان هذا بذاك اشارة أن العلم بأمور الدنيا كالجهل المطلق وفى تنكير (ظاهرا) اشارة الى قلة علمهم بظاهر الدنيا أيضا وفى تكرير هم اشارة الى أن الغفلة منهم والا فأسباب التذكرة حاصلة وظاهر الدنيا ملاذها وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها

هى الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من بطشى وفتكى

فلا يغرركم طول ابتسامى

فقولى مضحك والفعل مبكى

ثم أشار الى وجه التفكر بقوله (أولم يتفكروا) وقوله (فى أنفسهم) يتعلق به اما تعلق الظرف بالفعل كأنه قال أولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم الفارغة فيكون كالوقلت لاجل زيادة التصوير اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك مع أن الاعتقاد لا يكون الا فى القلب والاضمار لا يوجد الا فى النفس واما تعلق الجار بالفعل كقولك تفكر فى الامور وذلك أنه اذا تفكر فى نفسه التى هى أقرب الأشياء اليه وقف على غرائب الحكم ودقائق الصنع التى أودعها الله تعالى فيها

هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها وأشركوهم فى عبادتهم اياه وهم مع ذلك يقرون بأنها خلقه وهم عبيده وعيرهم بفعلهم ذلك فقال لهم هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا فهم سواء وأنتم فى ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما اياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة وقوله كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره كما بينا لكم أيها القوم حججنا فى هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من انشاء ما نشاء وافناء ما نحب واعادة ما نريد اعادته بعد فنائه ودللنا على أنه لا تصلح العبادة الا للواحد القهار الذى بيده ملكوت كل شئ كذلك نبين حججنا فى كل حق لقوم يعقلون فيتدبرونها اذا سمعوها ويعتبرون فيتعظون بها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ يقول تعالى ذكره ما ذلك كذلك ولا أشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله الآلهة والاوثان لان لهم شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم فهم وعبيدهم فيه سواء يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم فأشركوهم فى عبادته ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله اتبعوا أهواءهم جهلا منهم لحق الله عليهم فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته فمن يهدى من أضل الله يقول فمن يسدد للصواب من الطرق يعنى بذلك من يوفق للاسلام من أضل الله عن الاستقامة والرشاد وما لهم من ناصرين يقول وما لمن أضل الله من ناصرين ينصرونه فينقذونه من الضلال الذى يبتليه به تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فسدد وجهك نحو الوجه الذى وجهك اليه ربك يا محمد لطاعته وهى الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله التى فطر الناس عليها يقول صنعة الله التى خلق الناس عليها ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله فأقم وجهك للدين حنيفا وذلك أن معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها قال الاسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فهذا قول الله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين بعد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فطرة الله قال الاسلام حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس ابن أبى صالح عن يزيد بن أبى مريم قال مر عمر بمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الأمة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها والصلاة وهى الملة والطاعة وهى العصمة فقال عمر صدقت حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية قال ثنا

أيوب

كما يكفل بيان بعضها علم التشريح بجره ذلك الى العلم بأنه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا متلبسا بالغرض الصحيح الذى أودعه الله فيهما وبتقدير أجل مسمى هو وقت الجزاء والحساب ثم فى الآية تقريران أحدهما يناسب أصول الاشاعرة وهو أن دلائل الأنفس منجرة الى دلائل الآفاق المذكورة للتوحيد وللعلم بالاله القادر المختار الصادق كلامه لكنه أخبر عن تخريب السموات والارض وعن حشر الأجساد وانتهاء الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة فى الوقت المعلوم فيكون الامر على ما أخبر وثانيهما يتوقف على أصول المعتزلة وهو أن التفكر فى النفس يجذب بصنعه الى معرفة الاله الحكيم الذى لا يفعل العبث والجزاف فانه خلق السموات وغيرها من الاجسام لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلابد من تخريب السموات والارض وانتهاء الامر الى حالة الجزاء واللقاء كيلا تنخرم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح والعدل ثم قال (وان كثيرا من الناس) وقد قال قبل ذلك ولكن أكثر الناس لانه قد ذكر دليلا على الاصول ولا شك أن الايمان بعد الدليل يكون أكثر من الايمان قبل الدليل فلا يبقى الاكثر كما هو فعبر عن الباقى بالكثير قال فى الكشاف والمراد (بلقاء ربهم) الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه على الرؤية واعلم أن دليل الانفس مقدم على دليل الآفاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه وأن نفسه أقرب الاشياء اليه نظير الآية قوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى يعرفون الله بدلائل الانفس فى سائر الاحوال ويتفكرون فى خلق السموات والارض بدلائل الآفاق وانما أخر الأنفس فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم لأن الاراءة انما يفتقر اليها فى معرفة الأمر الأخفى كأنه قال سنريهم آياتنا الآفاقية فان لم يفهموها فآيات الأنفس معلومة وهذا الترتيب لا يناسب التفكر بل الفكر يتصور

أيوب عن أبى قلابة أن عمر قال لمعاذ ماقوام هـذه الأمة ثم ذكر نحوه وقوله لاتبديل لخلق الله يقول لاتغيير لدين الله أى لا يصلح ذلك ولا ينبغى أن يفعل * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسـن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لاتبـديل لخلق الله قال لدينه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسـل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمـة يسأله عن قول الله لاتبديل لخلق الله(١) انمـا هو الدين وقرأ لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة فطرة الله التى فطر الناس عليهـا قال الاسـلام * قال ثنى أبى عن نضر بن عربى عن عكرمة لاتبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنى أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال لدين الله * قال ثنا أبى عن عبد الجبار ابن الورد عن القاسم بن أبى بزة قال قال مجاهـد فسل عنها عكرمة فسألته فقال عكرمة دين الله تعـالى ماله أخزاه الله ألم يسمع الى قوله فطرة الله التى فطر النـاس عليها لاتبـديل لخلق الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لاتبديل لخلق الله أى لدين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن عكرمة قال لدين الله * قال ثنا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال سـعيد بن جبير لاتبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنـا المحاربى عن جويبر عن الضحاك لاتبديل لخلق الله قال لدين الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لاتبـدبل لخلق الله قال دين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر وسفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم قال لاتبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنـا أبى عن جعفر الرازى عن مغـيرة عن ابراهـيم قال لدين الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لاتغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصى الفحول منها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن رجل سأل ابن عبـاس عن خصاء البهائم فكرهه وقال لاتبديل لخلق الله * قال ثنـا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال عكرمة الاخصاء * قال ثنـا حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال الاخصاء وقوله ذلك الدين القيم يقول تعالى ذكره ان اقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبـدّل هو الدين القيم يعنى المسـتقيم الذى لاعوج فيه عن الاسـتقامة من الحنيفية الى اليهودية والنصرانيـة وغير ذلك من الضـلالات والبـدع المحدثة وقد وجه بعضهم معنى الدين فى هـذا الموضع الى الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليـلى عن بريدة ذلك الدين القيم قال الحساب القيم ولكن أكثر النـاس لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولـكن أكثر النـاس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقـولى فأقم وجهك للدين حنيفا هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعا كل حزب بمـا لديهم فرحون ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله منيبين اليه تائبين راجعين الى الله مقبلين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله منيبين اليـه قال المنيب الى الله

(١) لعل فيه سقطا والأصل لخلق الله فقال لخلق الله انمـا هو الخ تأمل كتبه مصححه

دليل الانفس أوّلا ثم يرتقى الى دليل الآفاق فظهر أن كل آية وردت على ما اقتضته الحكمة والبلاغة وحين ذكر دليل النفس الذى لا يقع الذهول عنه الا ندرة ارتقى الى دليل السموات والارض الذى يقع الذهول عنـه فى كثير من الاحوال لكنه لا يحتاج إلا الى التفات ذهنى ثم أتبعه دليل الآفاق الذى يتوقف على السير والتحوّل ليقفوا على أمر أمثـالهم وحكاية أشكالهم ثم ذكر أنهم أولى بالهلاك لأن من تقدمهم كعاد وثمود كانوا أشـدّ منهم قوّة جسمانيـة وأثاروا الارض حرثوهـا وهو اشارة الى القوّة المالية ثم أشار الى القوّة الظهرية التى يستند اليها عنـد الضعف والفتور وهى الحصون والعمائر بقوله (وعمروها أكثر مما عمروها) هؤلاء يعنى أهـل مكة كانوا أهل واد غير ذى زرع مالهم اثارة أرض أصـلا ولا عمارة لهار أسا ففيه نوع تهكم بهم قال أهل البرهان انمـا قال فى هـذه السورة وفى آخر فاطر وفى المؤمن أولم يسـيروا بالواو وفى غيرهن أفلم بالفاء لان ما قبلها فى هـذه السورة أولم يتفكـروا وما بعدها وأثاروا بالواو فوافق ما قبلها وما بعـدها وكذا فى فاطر ما قبله ولن تجد لسنتنا تحويلا وما بعده وما كان وفى المؤمن ما قبـله والذين يدعون وأما فى آخر المؤمن فما قبله فأىّ آيات الله وما بعده فمـا أغنى عنهم وكلاهما بالفاء قوله فى هذه السورة من قبلهم متصل بكون آخر مضمر وقوله كانوا أشـد منهم قوة وكذا معطوفا اخبار عمـا كانوا عليـه قبل الاهلاك وانمـا قال فى فاطر وكانوا بزيادة الواو لأن التقـدير فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشد وخصت السورة به لقوله وما كان الله ليعجزه وقال فى المؤمن كانوا من قبلهم كانوا هم أشد فأظهر كان وزاد لفظة هم لأن الآية وقعت فى أوائل قصة موسى وهى تتم فى ثلاثين آية فكان اللائق به البسط دون الوجازة ولم يبسط هـذا البسط فى آخر السورة اكتفاء بالاوّل والله أعلم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بوضع الأنفس الشريفة فى موضع خسيس هو عبادة الأصنام

المطيع لله الذى أناب الى طاعة الله وأمره ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك كان القوم
كفارا فنزعوا ورجعوا الى الاسلام وتأويل الكلام فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا منيبين اليه
الى الله فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك فان قال قائل وكيف يكون حالا منها والكاف
كناية عن واحد والمنيبون صفة لجماعة قيل لان الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع
أمر منه له ولأمته فكأنه قيل له فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله منيبين اليه وقوله واتقوه
يقول جل ثناؤه وخافوا الله وراقبوه أن تفرطوا فى طاعته وتركبوا معصيته ولا تكونوا من المشركين
يقول ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه وركوبكم معاصيه وخلافكم الدين الذى
دعاكم اليه وقوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقول ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم
وخالفوه ففارقوا وكانوا شيعا يقول وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم اليهود والنصارى حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى آخر الآية قال هؤلاء يهود فلو
وجه قوله من الذين فرقوا دينهم الى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله ولا تكونوا من المشركين
وأن معناه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أحزاب كل حزب بما لديهم فرحون كان وجها يحتمله
الكلام وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم
الحق فأحدثوا البدع التى أحدثوا بما لديهم فرحون يقول بما هم به متمسكون من المذهب
فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا
مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾
يقول تعالى ذكره واذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله الها آخر ضر فأصابتهم شدة
وجدوب وقحوط دعوا ربهم يقول أخلصوا لربهم التوحيد وأفردوه بالدعاء والتضرع اليه
واستغاثوا به منيبين اليه تائبين اليه من شركهم وكفرهم ثم اذا أذاقهم منه رحمة يقول ثم اذا
كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة اذا فريق
منهم يقول اذا جماعة منهم بربهم يشركون يقول يعبدون معه الآلهة والأوثان ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا
لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه اذا كشف الضر عنهم كفروا به ليكفروا بما أعطيناهم يقول اذا
هم بربهم يشركون كى يكفروا أى يجحدوا النعمة التى أنعمتها عليهم بكشفى عنهم الضر الذى كانوا فيه
وابدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية وذلك الرخاء والسعة هو الذى آتاهم تعالى ذكره الذى
قال بما آتيناهم وقوله فتمتعوا يقول فتمتعوا أيها القوم بالذى آتيناكم من الرخاء والسعة فى هذه
الدنيا فسوف تعلمون اذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه وعظيم عقابه على كفركم به فى الدنيا
وقد قرأ بعضهم فسوف يعلمون بالياء بمعنى ليكفروا بما آتيناهم فقد تمتعوا على وجه الخبر فسوف
يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾
يقول تعالى ذكره أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق
ما يقولون وبحقيقة ما يفعلون فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يقول فذلك الكتاب ينطق بصحة

قال أهل السنة هذا الوضع كان بمشيئة الله وارادته لكنه صدر عنهم فأضيف اليهم و (السوأى) تأنيث الاسوا وهو الأقبح وهى خبر كان فيمن
قرأ عاقبة بالرفع واسم كان فيمن قرأ عاقبة بالنصب وثم لتفاوت الرتبة وفى التركيب وضع للظهر موضع المضمر والمعنى أنهم أهلكوا
ثم كانت عاقبتهم السوأى وهى
عذاب النار و (أن كذبوا) المعنى
لأن أو بأن كذبوا أو هو تفسير أساؤا
على أن الاساءة فى معنى القول نحو
نادى وكتب معناه أى كذبوا وجوز
جار الله أن يكون السوأى مفعول
أساؤا وأن كذبوا عطف بيان لها
وخبر كان محذوف ارادة الابهام
ليذهب الوهم كل مذهب فيكون
تقدير الكلام ثم كان عاقبة الذين
اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ
الخطايا أن كذبوا كذا وكذا مما
لا يكتنه كنهه قال أهل التحقيق
ذكر الزيادة فى حق المحسن فى قوله
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولم
يذكر فى حق المسىء لأن جزاء سيئة
سيئة بمثلها وذكر السبب فى العقوبة
وهو قوله أن كذبوا ولم يذكره فى الآية
ليعلم أن احسانه لا يتوقف على
السبب بل فضله كاف فيه
وحين ذكر أن عاقبتهم النار وكان
فى ذلك اشارة الى الاعادة والحشر
لم يتركه دعوى بلا بينة فقال (الله
يبدأ) يعنى من خلق بالقدرة
والارادة لا يعجز عن الرجعة
والاعادة ثم بين ما يكون وقت
الرجوع فقال (ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون) يعنى فى ذلك اليوم
يتبين افلاسهم ويتحقق ابلاسهم
وهو سكوت مع تحير ويأس مع بؤس
ويأس لا اليأس الذى هو احدى
الراحتين وذلك اذا كان المرجو
أمرا غير ضرورى فيستريح الطامع
من الانتظار ثم ذكر وجه الابلاس
وذلك قوله (ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) يجحدونها وقتئذ بقوله سيكفرون بعبادتهم أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم شركهم
ثم حكى أنهم يعنى المسلمين والكافرين (يومئذ يتفرقون) فريق فى الجنة وفريق فى السعير تفصيله فى الآيتين بعده والروضة عندهم كل أرض

شركهم وانمـا يعنى جل ثناؤه بذلك أنه لم ينزل بمـا يقولون و يفعلون كتابا ولا أرسـل به رسولا وانمـا هو شئ افتعلوه واختلقوه اتباعا منهم لأهوائهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بمـا كانوا به يشركون يقول أم أنزلنـا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بمـا قدمت أيديهم اذا هم يقنطون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية فى الأبدان والأموال فرحوا بذلك وان تصبهم منـا شدة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان بمـا قدمت أيديهـم يقول بمـا أسـلفوا من سيئ الأعمـال بينهم وبين الله وركبوا من المعـاصى اذا هم يقنطون يقول اذا هم ييأسون من الفرج والقنوط هو الاياس ومنه قول حميد الأرقط

* قد وجدوا الحجاج غير قانط *

وقوله اذا هم يقنطون هو جواب الجزاء لأن اذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه فكأنه قيل وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون أو تجدهم أو رأيتهم أو تراهم وقد كان بعض نحويى البصرة يقول اذا كانت اذا جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأول بمنزلة الفـاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب وييأسون من الفرج عند شـدة تنالهم بعيون قلوبهم فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى بسـطه ذلك على من بسطه عليـه وقدره على من قدره عليـه ومخـالفته بين من خالف بينه من عبـاده فى الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدق حجج الله وأقربها اذا عاينها ورآها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيـه محمد صـلى الله عليـه وسـلم فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقـه عليك من الصـلة والبر والمسكين وابن السبيل ما فرض الله لهما فى ذلك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنـا غنـدر عن عوف عن الحسن فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال هو أن توفيهم حقهم ان كان عنـدك يسر وان لم يكن عنـدك فقل لهم قولا ميسورا قل لهم الخـير وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يقول تعالى ذكره ايتاء هؤلاء حقوقهـم التى ألزمها الله عباده خير للذين يريدون الله باتيانهم ذلك وأولئك هم المفلحون يقول ومـن يفعل ذلك مبتغيا به وجه الله فأولئك هم المنجحون المدركون طلباتهم عنـد الله الفائزون بمـا ابتغوا والتمسوا بايتائهم اياهم ما آتوا ۞ القـول فى تأويل قوله تعـالى ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عنـد الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ يقول تعـالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد فى أموال الناس برجوع ثوابها اليـه ممن أعطاه ذلك فلا يربو عند الله يقول فلا يزداد ذلك عند الله لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه وما آتيتم مـن زكاة يقول وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فأولئك يعنى الذين يتصـدقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون

ذات نبات وماء وفى الامثال أحسن من بيضة فى روضة يعنون بيضة النعامة وتنكير روضـة للتعظيم ومعنى (يحبرون) يسرون بأنواع المسار لحظة فلحظة حبره اذا سره سرورا تهلل بشره وخصه مجاهد بالتكريم وقتادة بالتنعيم وابن كيسان بالتحلية ووكيع بالسماع عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء رخصة يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لأشجارا عليهـا أجراس من فضـة فاذا أراد أهل الجنـة السماع بعث الله ريحا من تحت العـرش فى تلك الاشجـار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا وأما معنى (محضرون) لا يغيبون عنه وقد مر فى قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين وانمـا أهمل ذكر الفسقة من أهل الايمـان اكتفاء بمـا ذكر فى الآيات الاخر كقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله انمـا التوبة على الله الى قوله تبت الآن قال جار الله لمـا ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد وقال آخرون لما ذكر عظمته فى المبدا بقـوله ما خلق الله السـموات والارض وما بينهما الا بالحق وفى الانتهاء بقوله ويوم تقوم السـاعة وكرر ذكر قيام الساعة للتأكيـد والتخويف أراد أن ينزه نفسه عن كل سوء ويثبت لذاته كل حمد ليعلم أنه منزه عن طاعات المطيعين محمود على كل ما يوصل الى المكلفين مذكور على لسان أهل السموات والارضين والتسبيح فى الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لمـا فى كل منها من كل نعمة متجددة وخص بعضهم التسبيح بالصلاة لما روى عن ابن عباس أنه قال تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صـلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر أمر بالصلاة فى أول النهار ووسطه وآخره وأمر بالصلاة أول الليل ووسطه وهو العشاء

بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن اشق على أمتى لأمرتهم بالسواك و بتأخير العشاء الى نصف الليل ولم يأمر بالصلاة فى آخر الليل لان النوم فيه غالب وانه من على عباده بالاستراحة (٣٠) فى الليل بالنوم فى مواضع منها قوله ومن آياته منامكم بالليل كما يجىء روى عن الحسن أن الآية مدنية بناء على أنه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم وقول الاكثر ان الخمس فرضت بمكة قوله (وعشيا) معطوف على حين وما بينهما وهو قوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض قال جار الله معناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه قلت فيه أيضا أن الله غنى عن تسبيح المسبحين فلو لم يحمده حامد فله استئهال الحمد على الاطلاق ولو حمدوه لعاد نفعه اليهم وقدم الامساء لان الظلمة عدمية والأصل فى الاشياء العدم وقدم العشىّ على الظهيرة لاجل الفاصلة أو للتنبيه على فضيلة صلاة العصر ولعل فى تقديم الاعتراض المذكور على العشىّ اشارة الى هذا ومعنى (يخرج الحى من الميت) قد سلف مرارا ويحتمل أن يراد ههنا اليقظان والنائم لقوله (وكذلك تخرجون) أى من القبور فتنبيه النائم بعد اليقظة تشبيه الاعادة وكذا ردّ الارض الى حالة الخضرة والنضرة بعد ذبولها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته من يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته من ليلته ثم أراد أن يذكر الحجج الباهرة على استحقاق التسبيح والتحميد له فقال (ومن آياته أن خلقكم) أى أصلكم أو كلا منكم كما مر فى أول الحج (من تراب) وذلك أن التراب أبعد الاشياء عن درجة الاحياء لكثافته ولبرودته و يبسه والحياة بالحرارة والرطوبة ولكدورته والروح نير ولثقله وخفة الارواح ولسكونه والحى متحرك حساس ولاتنافى بين هذا و بين قوله خلق من الماء بشرا

يقول هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب أصبح القوم مسمنين معطشين اذا سمنت ابلهم وعطشت * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا يعطى الرجل الرجل العطية يريد أن يعطى أكثر منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال الرجل يعطى ليثاب عليه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال الهدايا حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى الهدايا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال يعطى ماله يبتغى أفضل منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ابن أبى خالد عن ابراهيم قال هو الرجل يهدى الى الرجل الهدية ليثيبه أفضل منها * قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ليثاب أفضل من ذلك ليس فيه أجر ولا وزر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال ما أعطيت من شئ تريد مثابة الدنيا ومجازاة الناس ذاك الربا الذى لا يقبله الله ولا يجزى به حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فهو ما يتعاطى الناس بينهم و يتهادون يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها وهذا للناس عامة وأما قوله ولا تمنن تستكثر فهذا للنبى خاصة لم يكن له أن يعطى إلا لله ولم يكن يعطى ليعطى أكثر منه * وقال آخرون انما عنى بهذا الرجل يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه و يخدمه و يعود عليه نفعه لا لطلب أجر من الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ومحمد ابن فضيل عن زكريا عن عامر وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يلزق بالرجل فيخف له و يخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه وانما أعطاه التماس عونه ولم يرد وجه الله * وقال آخرون هو اعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك لا طلب ثواب الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبى حصين عن ابن عباس وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال ألم تر الى الرجل يقول للرجل لأمولنك فيعطيه فهذا لا يربو عند الله لانه يعطيه لغير الله ليثرى ماله * قال ثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت ابراهيم النخعى يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال كان هذا فى الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة المال

المـال يكثر به ماله * وقال آخرون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وأما لغيره فحلال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي رواد عن الضحاك وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله هذا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الربا الحلال وانمـا اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ليربو بفتح الياء من يربو بمعنى وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس وقرأ ذلك عامة قراء أهـل المدينة لتربوا بالتاء من تربوا وضمها بمعنى وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس * والصواب من القول في ذلك عنـدنا أنهـما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار مع تقارب معنييهما لأن أرباب المـال اذا أربوا ربا المال واذا ربا المال فبارباء أربابه اياه ربا فاذ كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأما قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون فان أهـل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضـعفون قال هـذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالهـا وأكثر من ذلك حدثت عن عبـد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله قال هي الهبة يهب الشئ يريد أن يثاب عليه أفضل منه فذلك الذي لا يربو عنـد الله لا يؤجر فيه صاحبه ولا اثم عليه وما آتيتم من زكاة قال هي الصدقة تريدون وجه الله فأولئك هم المضـعفون قال معـمر قال ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعـالى ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفـعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به معرّفهم قبح فعلهم وخبث صنيعهم الله أيهـا القوم الذي لا تصـلح العبادة الا له ولا ينبغي أن تكون لغـيره هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيأ ثم رزقكم وخوّلكم ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ثم يحييكم من بعد ممـاتكم لبعث القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم للبعث بعـد الموت وقوله هـل من شركائكم من يفـعل من ذلكم من شئ يقول تعالى ذكره هـل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم اياه شركاء من يفـعل من ذلكم من شئ فيخلق أو يرزق أو يميت أو ينشر وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين وانمـا معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيأ من ذلك فكيف يعبد من دون الله من لا يفـعل شيأ من ذلك ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء فقال جل ثناؤه سبحانه أي تنزيها لله وتبرئة وتعـالى يقول وعلوّا له عمـا يشركون يقول عن شرك هؤلاء المشركين به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ لا والله سبحانه وتعالى عما يشركون يسبح نفسه اذا قيـل عليه البهتـان ۞ القول في تأويل قوله تعـالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بمـا كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عمـلوا لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرهـا بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنـه واختلف أهـل التأويل في المراد من قوله ظهر الفساد

لانه أرذل الاصل الثاني الذي هو النطفة أو أراد أن أصل البشر في الظاهر هو التراب والمـاء وأما النـار فللانضاج والهواء فللاستبقاء كالزق المنفوخ يقوم بالهواء و (ثم) لتبعيد الرتبة و (اذا) للفاجأة أي ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا (٣١) قالوا فيه اشارة الى مسألة حكمية وهي أن الله تعالى يخلق أوّلا انسانا فيتبعه أنه حيوان تام لا أنه يخلق أوّلا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاوّل ثم تكون الانواع فيها الاجنـاس بتلك الارادة الاولى وقوله (بشرا) اشارة الى القوّة المدركة التي البشر بها بشر وبها يمتاز عن غيره من الحيوانات وقوله (تنتشرون) اشارة الى القوّة المتحركة التي بهـا الحيوان حيوان فكأنه أشار الى فصله وجنسه وكان الأولى تقديم الجنس على الفصل الا أنه عكس الترتيب لأنه كأنه قال العجب غير مختص بالانسان بل الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب أيضا والانتشار اما بمعنى التردّد في الحوائج كقوله فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واما بمعنى البث والتفريق كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين بين خلق الانسان ولم يكن ممـا يبقى على مر الزمان منّ عليهم بأن جعل نوع الانسان باقيا بتعاقب الاشخاص فقال (ومن آياته أن خلق لكم) ولا يلزم منه أن لا يكنّ مخلوقات للعبادة والتكليف لأن تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فقد يكون الشئ مختصا باثنين وجعل مهيأ لآخرين على أن النعمة ما كانت تتم علينا الا بتكليفهن فلولا خوف العقاب لتمـردت النسوان على أزواجهن و (من أنفسكم) أي من جنسكم أو هو اشارة الى أن حواء خلقت من ضلع آدم وقد مر في النحل ويشهد للتفسير الاول قوله (لتسكنوا اليها) فان الجنس الى الجنس أسكن (وجعل بينكم مودّة) عن الحسن هي الجماع (ورحمة) هي الولد وقال غيره المودة حالة حاجة نفسه اليها والرحمة حالة حاجة صاحبته اليه وقد تفضي المودّة الى مجرد الرحمة وذلك اذا خرجت عن محل الشهوة بكبر أو مرض أو خرج عن امكان رعاية حقها

في البر والبحر فقال بعضهم عني بالبر الفلوات وبالبحر الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الآية قال إذا ولي سعى بالتعدي والظلم فيحبس الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قال ثم قرأ مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر الآية قال ثم قال أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عربي عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال أما إني لا أقول بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار * قال ثنا يزيد بن هرون عن عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال إن العرب تسمي الأمصار بحرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم امتلأت ضلالة وظلما فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس قوله ظهر الفساد في البر والبحر أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب وقرأ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال أفسدهم الله بذنوبهم في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة * وقال آخرون بل عني بالبر ظهر الأرض الأمصار وغيرها وبالبحر البحر المعروف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر قال في البر ابن آدم الذي قتل أخاه وفي البحر الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال بقتل ابن آدم والذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن فضيل بن مرزوق عن عطية ظهر الفساد في البر والبحر قال قلت هذا البر والبحر أي فساد فيه قال فقال إذا قل المطر قل الغوص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ظهر الفساد في البر قال قتل ابن آدم أخاه والبحر قال أخذ الملك السفن غصبا * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر والبر عند العرب الأرض القفار والبحر بحران بحر ملح وبحر عذب فهما جميعا عندهم بحر ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا وإذا كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار فتأويل الكلام إذا إذ كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس أي بذنوب الناس وانتشر الظلم فيهما وقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا يقول جل ثناؤه ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ومعصيتهم التي عصوا لعلهم يرجعون يقول كي ينيبوا إلى الحق ويرجعوا إلى التوبة ويتركوا معاصي الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن

بكبر او زمانة أو فقر قال بعضهم المودة والرحمة بعصمة الزواج من غير سابقة معرفة وقرابة وهي من قبل الله والفرك من قبل الشيطان (ان في ذلك) الخلق والجعل (لآيات لقوم يتفكرون) (٣٣) نخلق الانسان من الوالدين آية وجعل أحدهما ذكرا والآخر أنثى آية وخروج الولد الضعيف من الموضع الضيق آية وجعل التوادد بين الزوجين من غير صلة رحم آية ولما ذكر دلائل الانفس أتبعها دلائل الآفاق وأعظمها خلق السموات والارض فان خلق المركبات قد يسنده بعض الجهلة الى ما في العناصر من الكيفيات والى ما في السموات من الحركات والاتصالات وأما السماء والارض فلا يجد بدا من أن يقول انهما بقدرة الله تعالى ثم عاد الى ذكر أحوال الانفس ومن جملتها اختلاف الالسنة لا جرمها فان التباين بين أجرامها ليس يبلغ الى حد يعد آية بل وصفها وهو النطق وتقطيع الاصوات اللذان بهما يمتاز بعض الاصناف والاشخاص عن بعض واختلاف الالوان والحلى فبذلك يقع التفاوت ويرتفع الاشتباه فحس البصر يدرك اختلاف الصور وحس السمع يدرك اختلاف الاصوات وأما اللمس والشم والذوق فلا حكم ظاهرا لها في باب التمييز بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات اللازمة أراد أن يذكر الاعراض المفارقة بعضها فقال (ومن آياته منامكم) قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار ليكون موافقا لما جاء في مواضع أخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة قال وانما فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد يعني كأنه لم يعطف النهار على الليل والابتغاء على المنام وجوز أن يراد منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم

لعلهم

من فضله بالليل والنهار فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار و يكسب بالليل وفي اقتران الفضل بالابتغاء اشارة الى ان العبد ينبغي أن لا يرى الرزق من نفسه و بحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه ثم أشار الى عوارض الآفاق فقال (٢٣) (ومن آياته يريكم) فأضمر أن وأسكن الياء بعد حذفها وانزال الفعل منزلة المصدر كما في المثل السائر «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» قيل لما كان البرق من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه أن وقيل ومن آياته كلام كاف كما تقول منها كذا ومنها كذا وتسكت تريد بذلك الكثرة وقيل أراد ويريكم من آياته البرق وانتصاب (خوفا وطمعا) كما مر في الرعد ثم ذكر بعض لوازم الآفاق قائلا (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) فقيام السموات والارض استمساكهما بغير عمد ومن نسب ذلك الى الطبيعة فلابد أن يستند الطبع الى واجب لذاته وأمره أن يقول لهما كونا كذلك نظيره قوله ان الله يمسك الى قوله من بعده واعلم أن الأمر عند المعتزلة موافق للارادة وعند الاشاعرة ليس كذلك ولكن النزاع في الأمر الذي هو للتكليف لا الذي للتكوين فان قوله كن فيكون موافق للارادة بالاتفاق قال جار الله قوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاكم مرة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة الخروج من غير توقف والافلا أمر ظاهرا أو أراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا الداعي اذ لا مكان لله مطلقا ولا للملك في جوف الارض نعم لو كان المراد أن الملك يدعوهم وهو على وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم ما يكون من ذلك الامر وتهويل لتلك الحالة واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة نائبة مناب الفاء واعلم أنه تعالى ذكر في كل باب أمرين

لعلهم يرجعون قال قال يتوبون * قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون يوم بدر لعلهم يتوبون * قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن منصور عن ابراهيم لعلهم يرجعون قال الى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون لعل راجعا أن يرجع لعل تائبا أن يتوب لعل مستعتبا أن يستعتب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن لعلهم يرجعون قال يرجع من بعدهم * واختلفت القراء في قراءة قوله ليذيقهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ليذيقهم بالياء بمعنى ليذيقهم الله بعض الذي عملوا وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك سيروا في البلاد فانظروا الى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم وكذبوا رسله كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم ألم نهلكهم بعذاب منا ونجعلهم عبرة لمن بعدهم كان أكثرهم مشركين يقول فعلنا ذلك بهم لان أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون﴾ يقول تعالى ذكره فوجه وجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك اليه ربك للدين القيم لطاعة ربك والملة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يقول تعالى ذكره من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء يومئذ يصدعون يقول يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس يقول يتفرق الناس فرقتين من قولهم صدعت الغنم صدعتين اذا فرقتها فرقتين فريق في الجنة وفريق في السعير * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأقم وجهك للدين القيم الاسلام من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون فريق في الجنة وفريق في السعير حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يومئذ يصدعون يقول يتفرقون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يصدعون قال يتفرقون الى الجنة والى النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ يقول تعالى ذكره من كفر بالله فعليه أوزار كفره وآثام جحوده نعم ربه ومن عمل صالحا يقول ومن أطاع الله فعمل بما أمره به في الدنيا وانتهى عما نهاه عنه فيها فلأنفسهم يمهدون يقول فلأنفسهم يستعدون ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم وينجوا من عذابه كما قال الشاعر

امهد لنفسك حان السقم والتلف * ولا تضيعن نفسا ما لها خلف

* وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال يسوون المضاجع حدثنا ابن المثنى والحسن بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائي قالوا

أما من الانفس فخلق البشر ثم خلقهم زوجين وأما من الآفاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان والالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض والواحد يكفى للاقرار بالحق الا أن الثانى يجرى مجرى الشاهد الآخر وراعى فى تعداد العرضيات لطيفة بدأ باللوازم وختم باللوازم وذلك أن الانسان متغير الحال فالاحوال اللازمة له أغرب والأفلاك ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها أغرب وبدأ فى كل باب بما هو أعجب وانما ختم الآية الاولى بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون لأن الفكر يؤدى الى الوقوف على المعانى المقتضية للانس والسكون وعلى دقائق صنع الله فى خلق الانسان وبثهم فى الارض أو نقول ان من الاشياء ما يعلم بمجرد الفكر كدقائق حكمة الله فى خلق الانسان لأن أقرب الاشياء الى الانسان هو ذاته فلذلك قال هنالك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال على قدرة الله بخلق السماء والارض واختلاف ألسنة الناس وألوانهم فان الكل تظلهم السماء وتقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة فى صورته يمتاز بها عن غيره ولهذه يشترك فى معرفتها الناس جميعا فلهذا قال لآيات للعالمين ومن حمل اختلاف الألسن على اللغات واختلاف الالوان على البياض والسواد والصفرة والسمرة فالاشتراك فى معرفتها أيضا ظاهر ومن قرأ للعالمين بكسر اللام فقد أحسن فبالعلم يمكن الوصول الى معرفة ما سبق ذكره ومن الاشياء ما يحتاج الفكر فيه الى اعانة مرشد كالمنام والابتغاء فانهما لزوالهما فى بعض الاوقات قد يرفعان لوازمهما فلهذا قال لقوم يسمعون و يحعلون بالهم الى كلام اذاهم المرشد ومن هنا ذهب بعضهم الى أن معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين كالامر المطرد العادى

ثنا يحيى بن سليم الطائفى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال فى القبر حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا يحيى بن سليم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال للقبر حدثنا نصر بن على قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا ابن أبى نجيح قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فلانفسهم يمهدون قال فى القبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ يصدعون ليجزى الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله من فضله الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة انه لا يحب الكافرين يقول تعالى ذكره انما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله انه لا يحب أهل الكفر به واستأنف الخبر بقوله انه لا يحب الكافرين وفيه المعنى الذى وصفت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه اله كل شئ أن يرسل الرياح مبشرات بالغيث والرحمة وليذيقكم من رحمته يقول ولينزل عليكم من رحمته وهى الغيث الذى يحيى به البلاد ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره اياها ولتبتغوا من فضله يقول ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التى قسمها بينكم ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الرياح مبشرات قال بالمطر وقالوا فى قوله وليذيقكم من رحمته مثل الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وليذيقكم من رحمته قال المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليذيقكم من رحمته المطر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقى من قبله من رسله من قومهم ومعلمه سنته فيهم وفى قومهم وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم وفى أممهم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا الى قومهم الكفرة كما أرسلناك الى قومك العابدى الاوثان من دون الله فجاؤهم بالبينات يعنى بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند الله كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فانتقمنا من الذين أجرموا يقول فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام واكتسبوا السيآت من قومهم ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمى قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله اذ جاءهم بأسنا وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين على الكافرين ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ومظفروك بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده

فكان الولد يمكن أن يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة فأمر هنالك بالفكر وأما البرق والمطر فليس أمرا عاديا ولذلك يختلف بالشدة
والضعف و بحسب الاوقات والأمكنة فالعقل الصحيح يجزم بأنه من فعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون وقيل
ان العقل ملاك الامر وهو المؤدى
الى العلم فوقع الختم عليه وحين فرغ
من تعداد الآيات وكان مدلولها
الوحدانية التى هى الأصل الاول
والقدرة على الحشر التى هى الأصل
الآخر أكد الاول بقوله (وله من فى
السموات والارض كل له قانتون)
مطيعون منقادون وأكد الاصل
الآخر بل كلا الاصلين بقوله (وهو
الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو)
يعنى أن يعيده (أهون عليه) أى
فى نظركم وعند معقولكم والافلا
صعوبة فى الابداء أصلا حتى يقع
التفضيل على حده وانما أخرت
الصلة ههنا وقدمت فى قوله
فى سورة مريم وهو على هين لأنه
قصد هنالك الاختصاص يعنى أن
خلق الولد بين هرم وعاقر لا يهون
الا على ولا معنى للاختصاص ههنا
فان الامر مبنى على المعقول بين
الآدميين من أن المعاد أهون من
المبدا ولهذا قيل أوّل الغزو أخرق
وليس الدخيل فى أمر كالناشئ
عليه ومن الدليل العقلى على هذا
المطلوب أن الابداء خلق الاجزاء
وتأليفها والاعادة تأليف فقط ولا
شك أن أمرا واحدا أهون من
الامرين ولا يلزم منه أن يكون
فى الامرين صعوبة فان من قال
الرجل القوى يقدر على حمل شعيرة
من غير صعوبة وسلم السامع له
ذلك فاذا قال فلان لا يتعب من حمل
خردلة وان حمل خردلة أسون عليه
كان كلاما معقولا وقد أجرى
الزجاج قوله وهو أهون عليه مجرى
المثل فيما يصعب و يسهل وفسر به قوله (وله المثل الأعلى) يعنى هذا مثل مضروب لكم فى الارض وله المثل الأعلى من هذا المثل ومن كل
مثل يضرب فى السموات فيما بين الملائكة وعن ابن عباس أراد أن فعله وان شبهه بفعلكم ومثله به لكنه ليس كمثله شئ فله المثل الاعلى وقال

اذاهم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله يرسل الرياح فتثير سحابا يقول فتنشئ الرياح سحابا وهى
جمع سحابة فيبسطه فى السماء كيف يشاء يقول فينشره الله و يجمعه فى السماء كيف يشاء وقال فيبسطه
فوحد الهاء وأخرجها مخرج كناية المذكر والسحاب جمع كما وصفت ردا على لفظ السحاب لا على
معناه كما يقال هذا تمر جيد * و بنحو الذى قلنا فى تأويل قوله فيبسطه قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيبسطه فى السماء كيف يشاء
و يجمعه وقوله و يجعله كسفا يقول و يجعل السحاب قطعا متفرقة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة و يجعله كسفا أى قطعا وقوله فترى الودق يعنى المطر يخرج من خلاله
يعنى من بين السحاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فترى
الودق يخرج من خلاله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن قطن عن حبيب عن عبيد بن عمير
يرسل الرياح فتثير سحابا قال الرياح أربع يبعث الله ريحا فتقم الأرض قما ثم يبعث الله الريح الثانية
فتثير سحابا فيجعله فى السماء كسفا ثم يبعث الله الريح الثالثة فتؤلف بينه فيجعله ركاما ثم يبعث الريح
الرابعة فتمطر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فترى الودق قال القطر
وقوله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون يقول فاذا صرف ذلك الودق الى أرض
من أراد صرفه الى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك اليهم و يفرحون ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ يقول تعالى ذكره
وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا
الغيث لمبلسين يقول لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أى قانطين * واختلف أهل
العربية فى وجه تكرير من قبله وقد تقدم قبل ذلك قوله من قبل أن ينزل عليهم فقال بعض نحويى
البصرة رد من قبله على التوكيد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال غيره ليس ذلك
كذلك لأن مع من قبل أن ينزل عليهم حرفا ليس مع الثانية قال فكأنه قال من قبل التنزيل من قبل
المطر فقد اختلفتا وأما كلهم أجمعون وكد بأجمعين لأن كلا يكون اسما و يكون توكيدا وهو قوله
أجمعون والقول عندى فى قوله من قبله على وجه التوكيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانظر
الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾
اختلفت القراء فى قوله فانظر الى آثار رحمة الله فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة و بعض
الكوفيين الى أثر رحمة الله على التوحيد بمعنى فانظر يا محمد الى أثر الغيث الذى أصاب الله به من
أصاب من عباده كيف يحيى ذلك الغيث الأرض من بعد موتها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فانظر
الى آثار رحمة الله على الجماع بمعنى فانظر الى آثار الغيث الذى أصاب الله به من أصاب كيف يحيى
الارض بعد موتها * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار
متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها فان الغيث أحياها باحياء الله اياها به
واذا أحياها الغيث فان الله هو المحيى به فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا
فانظر يا محمد الى آثار الغيث الذى ينزل الله من السحاب كيف يحيى الله بها الأرض الميتة فينبتها

جار الله المثل الوصف أى له الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف فى السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة
الدلائل وهو أنه القادر الذى يقدر على الخلق والاعادة العليم الذى لا يعزب عن علمه شئ فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد

و يعشبها من بعد موتها ودثورها ان ذلك لمحيى الموتى يقول جل ذكره ان الذى يحيى هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيى الموتى من بعد موتهم وهو على كل شئ مع قدرته على احياء الموتى قدير لا يعز عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ شاءه سبحانه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذى أنزلناه من السماء فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذى حييت به أرضوهم وأعشبت ونبتت به زروعهم ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا قد فسد بتلك الريح التى أرسلناها فصار من بعد خضرته مصفرا لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره فانك يا محمد لا تسمع الموتى يقول لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم وانما هذا مثل معناه فانك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا وقوله ولا تسمع الصم الدعاء يقول وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء اذا هم ولوا عنك مدبرين كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانك لا تسمع الموتى هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين يقول لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة ومحجة الحق فلم يوفقه لاصابة الرشد فصارفه عن ضلالته التى هو عليها وركوبه الجائر من الطرق الى سبيل الرشاد يقول ليس ذلك بيدك ولا اليك ولا يقدر على ذلك أحد غيرى لأنى القادر على كل شئ وقيل بهادى العمى عن ضلالتهم ولم يقل من ضلالتهم لأن معنى الكلام ما وصفت من أنه وما أنت بصارفهم عنه فحمل على المعنى ولو قيل من ضلالتهم كان صوابا وكان معناه ما أنت بمانعهم من ضلالتهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول تعالى ذكره لنبيه ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله الا من يؤمن بآياتنا لأن الذى يؤمن بآياتنا اذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله وعمل بما فيه وانتهى الى حدود الله الذى حد فيه فهو الذى يسمع السماع النافع وقوله فهم مسلمون يقول فهم خاضعون لله بطاعته متذللون لمواعظ كتابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث من مشركى قريش محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء الله الذى خلقكم أيها الناس من ضعف يقول من نطفة وماء مهين فأنشأكم بشرا سويا ثم جعل من بعد ضعف قوة يقول ثم جعل لكم قوة على التصرف من بعد خلقه اياكم من ضعف ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يقول ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء فى شبابكم وشيبة وبنحو الذى

تفرقها على الوجه الذى يقتضيه التدبير ولهذا ختم الآية بقوله (وهو العزيز الحكيم) وعن مجاهد المثل الأعلى وصفه بالوحدانية وهو قوله لا اله الا الله وقد ضرب لذلك مثلا ومعنى (من أنفسكم) أنه أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى أنفسكم فمن للابتداء وفى قوله (مما ملكت أيمانكم) للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى والمعنى هل ترضون لانفسكم أن يكون لكم شركاء من بعض عبيدكم يشاركونكم فيما رزقناكم من الاموال والاملاك (فأنتم) يعنى بسبب ذلك أنتم أيها السادات والعبيد فى ذلك المرزوق (سواء) من غير تفضيل وفضل للاحرار على العبيد (تخافونهم) أن تستبدوا بتصرف دونهم (كخيفتكم أنفسكم) أى كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل أن من يكون له مملوك لا يكون شريكا له فى ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركاء له أو شفعاء عنده بغير اذنه وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتى يعبدوا كعبادته على أن مملوككم ليس مملوكا لكم فى الحقيقة ليس الا اختصاص المبايعة ولهذا لا حكم لهم عليهم بالقتل والقطع وبالمنع من الفرائض وقضاء الحاجة والنوم وقد يزول الاختصاص بالبيع والعتق ومملوك الله لا خروج له من ملكه بوجه من الوجوه وفى قوله فيما رزقناكم اشارة الى أن الذى هو لكم ليس فى الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ورزقكموه من فضله (كذلك) أى مثل هذا التفصيل والتبعيد للتعظيم أو لدخوله قلنا فى حيز التذكر والمضى (نفصل الآيات) نبينها (لقوم يعقلون) لأن التمثيل انما يكشف المعانى لارباب العقول ثم شوه صورة الشرك بقوله

(بل اتبع الذين ظلموا) أى أشركوا (أهواءهم بغير علم) فهوى العالم ربما يتبدّل بالهدى وأما الجاهل فانه هائم فى هواه كالبهائم لا يرجى ارعواؤه
يؤكده قوله (فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين) والاضلال ههنا (٣٧) لا يخفى أن الاشاعرة يحملونه على خلق الضلال

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذى خلقكم من ضعف أى من نطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا الهرم وشيبة الشمط وقوله يخلق ما يشاء يقول تعالى ذكره يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء لا يمتنع عليه شئ أراده فكما فعل هذه الاشياء فكذلك يميت خلقه ويحييهم اذا شاء يقول واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيى الموتى اذا شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجىء ساعة البعث فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ويكتسبون فيها الآثام واقسامهم حلفهم بالله ما لبثوا غير ساعة يقول يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة يقول الله جل ثناؤه كذلك فى الدنيا كانوا يؤفكون يقول كذبوا فى قيلهم وقسمهم ما لبثنا غير ساعة كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ۞ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أى يكذبون فى الدنيا وانما يعنى بقوله يؤفكون عن الصدق ويصدون عنه الى الكذب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ كان قتادة يقول هذا من المقدم الذى معناه التأخير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث قال هذا من مقاديم الكلام وتأويلها وقال الذين أوتوا الايمان والعلم لقد لبثتم فى كتاب الله ۞ وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول معنى ذلك وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والايمان بالله وكتابه وقوله فى كتاب الله يقول فيما كتب الله مما سبق فى علمه أنكم تلبثونه فهذا يوم البعث يقول فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ولكنكم كنتم لا تعلمون يقول ولكنكم كنتم لا تعلمون فى الدنيا أنه يكون وأنكم مبعوثون من بعد الموت فلذلك كنتم تكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ يقول تعالى ذكره فيوم يبعثون من قبورهم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم يعنى المكذبين بالبعث فى الدنيا معذرتهم وهو قولهم ما علمنا أنه يكون ولا أنا نبعث ولا هم يستعتبون يقول ولا هؤلاء الظلمة يسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم وتنبيها لهم على وحدانية الله وقوله ولئن جئتهم بآية يقول ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية يقول بدلالة على صدق ما تقول ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون يقول ليقولن الذين جحدوا رسالتك وأنكروا نبوتك ان أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به الا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات والآيات البينات فلا يفقهون عن الله

فى المكلف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف وقد تقدم مرارا ثم قال لرسوله ولأمته تبعية اذا تبين الحق وظهرت الوحدانية (فأقم وجهك للدين) أى سدده نحوه غير مائل الى غيره من الاديان الباطلة (فطرت الله) أى الزموها أو عليكم بها قال جار الله انما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله (منيبين) وهو حال منهم ولان الامر والنهى بعده معطوفان عليه لكنك قد عرفت فى الوقوف أن هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل أن يقدر الزم أو عليك أو أخص أو أريد وأشباه ذلك وفطرة الله هى التوحيد الذى تشهد به العقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء فى الحديث النبوى كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويحتمل أن تكون الفطرة اشارة الى أخذ الميثاق من الذر وقوله (لا تبديل لخلق الله) نفى فى معنى النهى أى لا تبدلوا خلقه الذى فطركم عليه لكن الايمان الفطرى غير كاف وقيل هو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤمن قومه فكأنه قال انهم أشقياء ومن كتب شقيا لم يسعد وقيل أراد أن الخلق لا خروج لهم عن عبوديته بخلاف مماليك الانسان فانهم قد يخرجون من أيديهم بالبيع والعتق وفيه فساد قول من زعم أن العبادة لتحصيل الكمال فاذا كمل العبد لم يبق عليه تكليف وفساد قول الصابئة وبعض أهل الشك ان
الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى والحلولية ان الله يحل فى بعض
الاشخاص كعيسى وغيره فيصير الها ومعنى (فرقوا دينهم وكانوا شيعا) قد مر فى آخر الانعام وأنهم فرق كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها

حججه ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه فهم لذلك في طغيانهم يترددون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) يقول تعالى ذكره فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم و بلغهم رسالة ربك فان وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم والظفر بهم وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعك في الأرض حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون يقول ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن جبير عن علي بن ربيعة أن رجلا من الخوارج قرأ خلف علي رضي الله عنه لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال علي فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون قال قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له علي رضي الله عنه حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

آخر تفسير سورة الروم

(تفسير سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول في تأويل قوله تعالى (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) وقد تقدم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره الم وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم يقول جل ثناؤه هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا وقوله هدى ورحمة يقول هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قراء الأمصار غير حمزة فانه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف اذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح والعرب تفعل ذلك بما كان من نعوت المعارف وقع موقع الحال اذا كان فيه معنى مدح أو ذم وكلتا القراءتين صواب عندي وان كنت الى النصب أميل لكثرة القراء به وقوله للمحسنين وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه الذين يقيمون الصلاة يقول الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها ويؤتون الزكاة من

وقال أهل التحقيق بعضهم يعبد الدنيا و بعضهم يعبد الهوى و بعضهم يريد الجنة و بعضهم يطلب الخلاص من النار ومعنى (كل حزب بما لديهم فرحون) قد مر في المؤمنين وجوز (٣٨) جار الله أن يكون من الذين منقطعا عما قبله وكل حزب مبتدأ و (فرحون) صفة كل ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب بصفة كذا والله أعلم ۞ التأويل الالف ألفة طبع المؤمنين واللام لوم طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فمن الالفة أحبوا أهل الكتاب ومن اللوم أبغضهم الكافرون ومغفرة رب العالمين شملت الفريقين حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يكون هناك مخصص ثم أشار الى أن حال أهل الطلب يتغير بتغير الاوقات فيغلب فارس النفس روم القلب تارة وسيغلب روم القلب فارس النفس بتأييد الله ونصره في بضع سنين من أيام الطلب و يومئذ يفرح المؤمنون وهم الروح والسر والعقل أولم يتفكروا في استعداد أنفسهم ما خلق الله السموات الروحانية والارض النفسانية الا ليكون مظهرا للحق ولاجل مسمى بالصبر والثبات في تصفية مرآة القلوب عن صدا الاوصاف الذميمة النفسانية والاجل المسمى هو أوان صفاء القلب متوجها الى الحق أولم يسيروا في أرض البشرية بالسلوك لتبديل الاخلاق والذين من قبلهم هم الفلاسفة والبراهمة المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرائع والسوأى هي أن صاروا أئمة الكفر والضلال الله يبدأ الخلق بتصيير النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير والسلوك والعبور عن المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون بجذبة ارجعي و يوم تقوم الساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب ما سوى الله و يوم تقوم الساعة قيامة العشق يومئذ تتفرق المحبون جعلها فبعضهم يطلب الجنة و بعضهم يطلب الوصلة و بعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين تغلبون على ليل نيل الشهوات وحين صباح نهار

تجلى شموس الوصال وله الحمد ان كنتم فى سموات القربات أو أرض البعد والغفلات وسبحانه فى عشاء غشاء القساوة وفى حالة استواء شمس
المعرفة فى وسط سماء القلب فان الربح والخسران فى كلتا الحالتين راجع الى الطائفتين والله منزه عن العالمين يخرج القلب

جعلها الله له المفروضة فى أموالهم وهم بالآخرة هم يوقنون يقول يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك فى الآخرة يوقنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور وأولئك هم المفلحون يقول وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال بعضهم من يشترى الشراء المعروف بالثمن ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وفيهن نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال أكل ثمنهن حرام وقال أيضا وفيهن أنزل الله على هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله حدثنى عبيد بن آدم بن أبى اياس العسقلانى قال ثنا أبى قال ثنا سليمن بن حيان عن عمرو بن قيس الكلابى عن أبى المهلب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة * قال وثنا اسمعيل بن عياش عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام وقد نزل تصديق ذلك فى كتاب الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث الى آخر الآية * وقال آخرون بل معنى ذلك من يختار لهو الحديث ويستحبه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله أن لا ينفق فيه مالا ولكن اشتراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا ابن شوذب عن مطر فى قول الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال اشتراؤه استحبابه * وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال معناه الشراء الذى هو بالثمن وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه * فان قال قائل وكيف يشترى لهو الحديث قيل يشترى ذات لهو الحديث أو ذا لهو الحديث فيكون مشتريا لهو الحديث وأما الحديث فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم هو الغناء والاستماع له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يزيد بن يونس عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء البكرى أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فقال عبد الله الغناء والذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن على قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا

الحى بنور الله من النفس الميتة فى ظلمات صفاتها ابرازا للطفه ويخرج القلب الميت عن الاخلاق الحميدة من النفس الحية بالصفات الحيوانية اظهارا لقهره ويحيى أرض القلوب بعد موتها وكذلك تخرجون بدأ واعادة فمن آياته خلق سموات القلوب وأرض النفوس واختلاف ألسنة القلوب وألسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف ألوانكم وهى الطبائع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومنكم من يريد الله ومن آياته منامكم فى ليل البشرية وابتغاؤكم من فضله فى نهار الروحانية والمكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله من شجرة الوجود ويريكم بروق شواهد الحق ثم اللوامع ثم الطوالع فتلك الانوار ترى شهوات الدنيا نيرانا فيخاف منها وترى مكاره التكاليف جنانا فيطمع فيها أن تقوم سماء النفس وأرض القلب بأمره لأن الروح من أمره ثم اذا دعاكم بجذبة ارجعى اذا أنتم يعنى النفس والقلب والروح تخرجون من أنانية وجودكم وهو أهون عليه لأنه فى البداية كان مباشرا بنفسه وفى الاعادة يكون المباشر اسرافيل بنفخه والمباشرة بنفس الغير فى العمل أهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل أن يكون أهون من الهون بالضم وهو الذلة والضمير للخلق وذلك أنهم فى البداية لم يكونوا ملوثين بلوث الحدوث ولا مدنسين بأدناس الشرك والمعاصى فلعزتهم فى البداية باشر خلقتهم بنفسه ولهونهم فى الاعادة باشرهم بغيره
وله المثل الأعلى فيما أودع من الآيات فى سموات الأرواح وأرض القلوب ضرب لكم أى للروح والقلب والسر والعقل مما ملكت أيمانكم

من الاعضاء والجوارح والحواس والقوى فما رزقناكم من العلوم والكشوف تخافونهم أن لا يضيعوا شيأ من المواهب بالتصرفات الفاسدة
كخيفتكم انفسكم أي كخيفة الروح من القلب (٤٠) أن لا يضيع شيأ منها بأن يصرفها في غير موضعها رياء وسمعة وهوى أو كخيفة

حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء حدثنا أبو كريب قال ثنا علي بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء حدثنا عمرو ابن علي قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء وأشباهه حدثنا ابن وكيع والفضل بن الصباح قالا ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال هو الغناء ونحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عمرو ابن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي قال ثنا عبيد الله قال ثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هو الغناء والاستماع له يعني قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث حدثنا الحسن بن عبد الرحيم قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا سفيان عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جابر في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال هو الغناء والاستماع له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن الحكم أو مقسم عن مجاهد عن ابن عباس قال شراء المغنية حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص والمحاربي عن ليث عن الحكم عن ابن عباس قال الغناء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال باطل الحديث هو الغناء ونحوه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن مجاهد قال الغناء * قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا الأشجعي عن سفيان عن عبد الكريم عن مجاهد ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال هو الغناء وكل لعب ولهو حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي قال ثنا علي بن حفص الهمداني قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء والاستماع له وكل لهو حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال المغني والمغنية بالمال الكثير أو استماع اليه أو الى مثله من الباطل حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال هو الغناء أو الغناء منه أو الاستماع له حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي عن اسمعيل بن أبي خالد عن شعيب بن يسار عن عكرمة قال لهو الحديث الغناء حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا عثام عن اسمعيل ابن أبي خالد عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة عن عبيد مثله حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعي قال ثنا أبو أسامة وعبيد الله عن أسامة عن عكرمة في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث

القلب من السر والعقل بأن يصرفها فيما يفسد العقائد ويوقع في الشكوك فكما لا يصلح هؤلاء لشركتكم فكذلك لا تصلحون أنتم لشركتي اذا تجليت عليكم فدعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء ردائي لا غير (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من
الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا (٤١) فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا

الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال الغناء
* وقال آخرون عني باللهو الطبل ذكر من قال ذلك حدثني عباس بن محمد قال ثنا حجاج
الأعور عن ابن جريج عن مجاهد قال اللهو الطبل * وقال آخرون عني بلهو الحديث الشرك ذكر
من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث يعني الشرك حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم
ويتخذها هزوا قال هؤلاء أهل الكفر ألا ترى الى قوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم
يسمعها كأن في أذنيه وقرا فليس هكذا أهل الاسلام قال وناس يقولون هي فيكم وليس كذلك
قال وهو الحديث الباطل الذي كانوا يلغون فيه * والصواب من القول في ذلك أن يقال عني به كل
ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله لأن الله تعالى عم بقوله
لهو الحديث ولم يخصص بعضا دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه
والغناء والشرك من ذلك وقوله ليضل عن سبيل الله يقول ليصد ذلك الذي يشتري من لهو
الحديث عن دين الله وطاعته وما يقرب اليه من قراءة قرآن وذكر الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ليضل عن سبيل الله قال سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله
اذا ذكره وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية وقوله بغير علم يقول فعل ما فعل من اشترائه
لهو الحديث جهلا منه بماله في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه وقوله ويتخذها هزوا اختلفت
القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ويتخذها رفعا عطفا به
على قوله يشتري كأن معناه عندهم ومن الناس من يشتري لهو الحديث ويتخذ آيات الله هزوا
* وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويتخذها نصبا عطفا على يضل بمعنى ليضل عن سبيل الله وليتخذها
هزوا * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى
فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته والهاء والالف في قوله ويتخذها من ذكر
سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
في قول الله ويتخذها هزوا قال سبيل الله * وقال آخرون بل ذلك من ذكر آيات الكتاب حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث
الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع ويتخذها هزوا ويستهزئ بها ويكذب بها وهما من أن
يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها وان كان القول الآخر غير بعيد من الصواب
واتخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين
وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله لهم يوم القيامة عذاب مذل مخز في نار جهنم
۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه
وقرا فبشره بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للاضلال

فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ ۞ القراآت آتيتم من ربا مقصورا ابن كثير لتربوا بضم التاء وسكون الواو على الجمع أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لنذيقهم بالنون ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل يرسل الريح على التوحيد

ابن كثير وحمزة وعلي وخلف كسفا بالسكون يزيد وابن ذكوان آثار على الجمع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد ضعف وما بعده بفتح الضاد حمزة وعاصم غير المفضل ١١ الوقوف

عن سبيل الله آيات كتاب الله فقرئت عليه ولى مستكبرا يقول أدبر عنها واستكبر استكبارا وأعرض عن سماع الحق والاجابة عنه كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا يقول ثقلا فلا يطيق من أجله سماعه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في أذنيه وقرا قال ثقلا وقوله فبشره بعذاب أليم يقول تعالى ذكره فبشر هذا المعرض عن آيات الله اذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة موجع وذلك عذاب النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله فوحدوه وصدقوا رسوله واتبعوه وعملوا الصالحات يقول فأطاعوا الله فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم جنات النعيم يقول لهؤلاء بساتين النعيم خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية وعد الله حقا يقول وعدهم الله وعدا حقا لا شك فيه ولا خلف له وهو العزيز يقول وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به والصادين عن سبيله الحكيم في تدبير خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يقول تعالى ذكره ومن حكمته أنه خلق السموات السبع بغير عمد ترونها وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله بغير عمد ترونها وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا وقد حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس بغير عمد ترونها قال لعلها بعمد لا ترونها * وقال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد قال انها بعمد لا ترونها * قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لعلها بعمد لا ترونها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد عن سماك عن عكرمة في هذا الحرف خلق السموات بغير عمد ترونها قال ترونها بغير عمد وهي بعمد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خلق السموات بغير عمد ترونها قال قال الحسن وقتادة انها بغير عمد ترونها ليس لها عمد وقال ابن عباس بغير عمد ترونها قال لها عمد لا ترونها وقوله وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم يقول وجعل على ظهر الأرض رواسي وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم يقول أن لا تضطرب بكم ولا تحرك يمنة ولا يسرة ولكن تستقر بكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألقى في الأرض رواسي أي جبالا أن تميد بكم أثبتها بالجبال ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا وذلك كما قال الراجز * والمهر يأبى أن يزال ملهبا *
بمعنى لا يزال وقوله وبث فيها من كل دابة يقول وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب وقيل الدواب اسم لكل ما أكل وشرب وهو عندي لكل ما دب على الأرض وقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء مطرا فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج يعني من كل نوع من النبات كريم وهو الحسن النبتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كل زوج كريم أي حسن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ يقول

بالضم وهو اختيار خلف وحفص لا ينفع بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم والآخرون بتاء التأنيث لا يستخفنك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب ۞ الوقوف يشركون ٥ لا وقد يوقف على توهم لام الأمر آتيناهم ط للعدول الى الخطاب وابتداء أمر التهديد فتمتعوا فقف لاستئناف التهديد تعلمون ٥ يشركون ٥ بها ج ط فصلا لابين النقيضين يقنطون ٥ ويقدر ج يؤمنون ٥ وابن السبيل ط وجه الله ز ط المفلحون ٥ عند الله ج ط لعطف جملتي الشرط المضعفون ٥ يحييكم ط شئ ط يشركون ٥ يرجعون ٥ من قبل ط مشركين ٥ يصدعون ٥ كفره ج لما مر يمهدون ٥ لا وقد يوقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التأكيد من فضله ٥ الكافرين ٥ تشكرون ٥ أجرموا ط وقيل يوقف على حقا أي وكان الانتقام حقا ثم ابتدأ علينا أي واجب علينا نصر المؤمنين ٥ خلاله ط ج للشرط مع الفاء يستبشرون ٥ لمبلسين ٥ موتها ط الموتى ج لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاحياء الى بيان القدرة قدير ٥ يكفرون ٥ مدبرين ٥ ضلالتهم ط مسلمون ٥ وشيبة ط مايشاء ج ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول القدير ٥ المجرمون ٥ لا لان ما بعده جواب القسم غير ساعة ط يؤفكون ٥ يوم البعث ز لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول لا تعلمون ٥ يستعتبون ٥ مثل ط مبطلون ٥ لا يعلمون ٥ لا يوقنون ٥ ۞ التفسير لما بين التوحيد بالدلائل وبالمثل بين أنه أمر وجداني يعرفونه في حال الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حال الرحمة والرخاء وفي لفظي المس والاذاقة دليل على أن الانسان قليل الصبر في حالتي الضراء والسراء وانما قال (اذا فريق منهم) ولم يقل اذا هم يشركون كما قال تعالى في آخر العنكبوت لان الكلام هناك مع أهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار

قائلا (أم أنزلنا) كأنه قال اذا تقررت الحجج المذكورة فماذا يقولون أيتبعون أهواءهم بغير علم أم لهم دليل على ما يقولون واسناد التكلم الى الدليل مجاز كما تقول نطقت الحال بكذا وما في قوله (بما كانوا) مصدرية (٤٣) والضمير في (به) لله أو موصولة والضمير لها

أي بالأمر الذي بسببه يشركون ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي ذا سلطان وهو الملك فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه (يشركون) وحين ذكر الشرك الظاهر أتبعه ذكر الخفي وهو أن تكون عبادة الله للدنيا فاذا أتاه بهواه رضي واذا منع وتعسر سخط وقنط والرحمة المطر والصحة والأمن وأمثالها والسيئة أضداد ذلك وانما لم يذكر سبب الرحمة ليعلم أنها بفضله وذكر سبب السيئة وهو شؤم معاصيهم ليدل على عدله والفرح بالنعمة مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاذا كان مع ملاحظة المنعم فمحمود بل الفرح الكلي يجب أن يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله أيضا مذموم كما مر في قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم أشار بقوله (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) الى أن الكل من الله فيجب أن يكون نظر المحقق في الحالين على الله ففي حالة الرحمة يشتغل بالشكر وفي حالة الضراء لا ينسب الله الى عدم القدرة والى عدم العناية بحال العبد بل يشتغل بالتوبة والانابة الى أوان الفرج والنصر وهذه مرتبة المؤمن الموحد فلذلك قال (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ولا يخفى أن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فلذلك قال أولم يروا وقال في الزمر أولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو أوتيته على علم وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

قال جار الله لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك قائلا (فآت ذا القربى حقه) الآية وأقول لما بين كيفية التعظيم لأمر الله أشار الى الشفقة على خلق الله قائلا فآت أيها المكلف أو النبي والأمة يتبعونه لا محالة

تعالى ذكره هذا الذي عددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء وعبادة كل خلق الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي لشيء سواه فأروني أيها المشركون في عبادتكم اياه من دونه من الآلهة والأوثان أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه كما استحق ذلك عليكم خالقكم وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا خلق الله ماذكر من خلق السموات والأرض وما بث من الدواب وما أنبت من كل زوج كريم فأروني ماذا خلق الذين من دونه الاصنام الذين تدعون من دونه وقوله بل الظالمون في ضلال مبين يقول تعالى ذكره ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيأ ولكنهم دعاهم الى عبادتها ضلالهم وذهابهم عن سبيل الحق فهم في ضلال يقول فهم في جور عن الحق وذهاب عن الاستقامة مبين يقول يبين لمن تأمله ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى * القول في تأويل قوله تعالى {ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد} يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والاصابة في القول * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والعقل والاصابة في القول من غير نبوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الاسلام قال قتادة ولم يكن نبيا ولم يوح اليه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن مجاهد في قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الحكمة الصواب وقال غير أبي بشر الصواب في غير النبوة حدثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد قالا ثنا حكام عن سعيد الزبيدي عن مجاهد قال كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مجاهد قال كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين حدثني عباس بن محمد قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا سليمن بن بلال قال ثني يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا أبي قال ثنا الاوزاعي قال ثنا عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي الأشهب عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أطيب

مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال له لقمان انه ليس من شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس أناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد ولقد آتينا لقمان الحكمة قال القرآن * قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحكمة الأمانة * وقال آخرون كان نبيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وقوله أن اشكر لله يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الحكمة أن احمد الله على ما آتاك من فضله وجعل قوله أن اشكر ترجمة عن الحكمة لأن من الحكمة التى كان أوتيها كان شكره الله على ما آتاه وقوله فمن يشكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن يشكر الله على نعمه عنده فانما يشكر لنفسه لأن الله يجزل له على شكره اياه الثواب وينقذه به من الهلكة ومن كفر فان الله غنى حميد يقول ومن كفر نعمة الله عليه الى نفسه أساء لأن الله معاقبه على كفرانه اياه والله غنى عن شكره اياه على نعمه لا حاجة به اليه لأن شكره اياه لا يزيد فى سلطانه ولا ينقص كفرانه اياه من ملكه ويعنى بقوله حميد محمود على كل حال له الحمد على نعمه كفر العبد نعمته أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول الى فعيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يقول لخطأ من القول عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير ﴾ يقول تعالى ذكره وأمرنا الانسان ببر والديه حملته أمه وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف وشدة على شدة ومنه قول زهير

فلن يقولوا بحبل واهن خلق * لو كان قومك فى أسبابه هلكوا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به الحمل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن يقول شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حملته أمه وهنا على وهن أى جهدا على جهد * وقال آخرون بل عنى به وهن الولد وضعفه على ضعف الأم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهنا على وهن قال وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها وقوله

وفصاله

كما مر فى قوله فأقم وجهك وفيه أن الله اذا بسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق لم يزدد بالامساك فينبغى ان لا يتوقف الانسان فى الاحسان وفى تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر دلالة على أنهم أولى بالاشفاق عليهم من سائر الاصناف وانما قال ذا القربى ولم يقل القريب ليكون نصا فى معناه ولا يشتبه بالقرب المكانى وفيه أن القرابة أمر له دوام بخلاف المسكنة وكونه من أبناء السبيل وفى قوله فآت ذا القربى حقه دون أن يقول فآت هذه الاصناف حقوقهم تشريف لذوى القرابة حيث جعل الصنفين الآخرين تابعا لهم على الاطلاق فانه اذا قال الملك خل فلانا يدخل وفلانا أيضا كان أدخل فى التعظيم من أن يقول خل فلانا وفلانا يدخلان (ذلك) الايتاء (خير) فى نفسه أو خير من المنع (للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أو جهة قربته فان من أنفق ألوفا رياء وسمعة لم ينل درجة من أنفق رغيفا لوجه الله (وأولئك هم المفلحون) كقوله فى أول البقرة لان قوله فأقم وجهك اشارة الى الايمان بالغيب وغيره أو الى اقامة الصلاة وقوله وآت ذا القربى أمر بالزكاة بل بالصدقة المطلقة وفى قوله يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم أراد أن يعظم شأن الصدقة فضم الى ذلك تقبيح أمر الربا استطرادا فمن قرأ ممدودا فظاهر ومن قرأ مقصورا فهو من الاتيان أى وما غشيتموه أو أصبتموه من اعطاء ربا ليربو أى ليزيد فى أموال أكلة الربا وفى القراءة الاخرى ليزيد فى أموالهم (فلا يربو) فلا يزكو ولا ينمو (عند الله) لانه يمحق بركتها نظيره ما مر فى آخر البقرة يمحق الله الربا ويربى الصدقات قيل نزلت فى ثقيف وكانوا يرابون وقيل نزلت فى الهبة أو الاهداء لاجل عوض زائد فبين الله تعالى أن ذلك لا يوجب الثواب عند الله وان كان مباحا وفى الحديث الجانب المستغزر يثاب عن هبته أى الرجل الغريب اذا أهدى شيأ فانه ينبغى أن يزاد فى عوضه

وفصاله فى عامين يقول وفطامه فى انقضاء عامين وقيل وفصاله فى عامين وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه كما قيل واسأل القرية التى كنا فيها يراد به أهل القرية وقوله أن اشكر لى ولوالديك يقول وعهدنا اليه أن اشكر لى على نعمى عليك ولوالديك تربيتهما اياك وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك وقوله الىّ المصير يقول الى الله مصيرك أيها الانسان وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك وعما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما على ما القيا منك من العناء والمشقة فى حال طفوليتك وصباك وما اصطنعا اليك فى برهما بك وتحننهما عليك وذكر أن هذه الآية نزلت فى شأن سعد بن أبى وقاص وأمه ذكر الرواية الواردة فى ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب حتى يتحوّل سعد عن دينه قال فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشى عليها قال فأتاها بنوها فسقوها قال فلما أفاقت دعت الله عليه فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه الى قوله فى الدنيا معروفا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قالت أم سعد لسعد أليس الله قد أمر بالبرّ فوالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ثم أوجروها فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سماك بن حرب قال قال سعد بن مالك نزلت فىّ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا قال لما أسلمت حلفت أمى لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا قال فناشدتها أول يوم فأبت وصبرت فلما كان اليوم الثانى ناشدتها فأبت فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت فقلت والله لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع دينى هذا فلما رأت ذلك وعرفت أنى لست فاعلا أكلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت أبا هبيرة يقول قال نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وان جاهدك أيها الانسان والداك على أن تشرك بى فى عبادتك اياى معى غيرى مما لا تعلم أنه لى شريك ولا شريك له تعالى ذكره علوا كبيرا فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بى وصاحبهما فى الدنيا معروفا يقول وصاحبهما فى الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا اثم وقوله واتبع سبيل من أناب الىّ يقول واسلك طريق من تاب من شركه ورجع الى الاسلام واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع سبيل من أناب الىّ أى من أقبل الىّ وقوله الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون فان الىّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم فى الدنيا تعملون من خير وشر ثم أجازيكم على أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته فان قال لنا قائل ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتى لقمان ابنه قيل ذلك أيضا وان كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته

قال جار الله فى قوله (فأولئك) التفات حسن كأنه قال ذلك لخواصه وملائكته وهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون أى ذووا الأضعاف من الحسنات نظيره المقوى والموسر لذوى القوة واليسار والرابط محذوف أى هم المضعفون به وجوّز فى الكشاف أن يراد فمؤتوه أولئك هم المضعفون قالت العلماء أراد الأضعاف فى الثواب لا فى المقدار فليس من أعطى رغيفا فان الله يعطيه عشرة أرغفة وانما المراد أن الرغيف الواحد لو اقتضى أن يكون ثوابه قصرا فى الجنة فان الله تعالى يعطيه عشرة قصور تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة أخرى بتذكير الخلق والرزق والاماتة والاحياء بعدها نظرا الى الدلائل ثم طلب منهم الانصاف بقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) قال جار الله من الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قالت الاولى للتبعيض كأنه أقام فعل البعض مقام فعل الكل توسعة على الخصم والثالثة لتأكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنه يفيد أنه رضى منهم بشئ واحد من تلك الأشياء للتوسعة المذكورة أيضا ثم بين أن الشرك وسائر المعاصى سبب ظهور الفساد فى البر والبحر وذلك لقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شئ وفسره ابن عباس باجداب البر وانقطاع مادة البحر وتموجه بمائه وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على سواحله وقال عكرمة العرب تسمى الأمصار بحارا (لنذيقهم) وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن نعاقبهم بجميعها فى الآخرة ارادة أن يرجعوا عما هم عليه وجوز جار الله أن يراد ظهر الشر والمعاصى فى الارض برا وبحرا بكسب الناس وعلى هذا فاللام فى قوله لنذيقهم لام العاقبة ثم أمرهم بالنظر فى حال أشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم كقوم نوح وعاد وثمود (كان أكثرهم مشركين) فيه اشارة الى أن بعضهم كانوا مرتكبى مادون الشرك من المعاصى ولكنهم

عباده به وأنه انما أوصى به لقمان ابنه فكان معنى الكلام واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولا تطع فى الشرك به والديك وصاحبهما فى الدنيا معروفا فان الله وصى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله وفيه هذا المعنى فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ اختلف أهل العربية فى معنى الهاء والالف اللتين فى قوله انها فقال بعض نحويى البصرة ذلك كناية عن المعصية والخطيئة ومعنى الكلام عنده يا بنى ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل أو ان الخطيئة وقال بعض نحويى الكوفة هذه الهاء عماد وقال أنث تك لانه يراد بها الحبة فذهب بالتأنيث اليها كما قال الشاعر

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال صاحب هذه المقالة يجوز نصب المثقال ورفعه قال فمن رفع رفعه بتك واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل فى كان وليس وأخواتها ومن نصب جعل فى تكن اسما مضمرا مجهولا مثل الهاء التى فى قوله انها ان تك قال ومثله قوله فانها لا تعمى الابصار قال ولو كان ان يك مثقال حبة كان صوابا وجاز فيه الوجهان وأما صاحب المقالة الأولى فان نصب مثقال فى قوله على أنه خبر وتمام كان وقال رفع بعضهم فجعلها كان التى لا تحتاج الى خبر * وأولى القولين بالصواب عندى القول الثانى لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم فيقال ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما فاذا كان ذلك كذلك كانت الهاء فى قوله انها بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية وأما النصب فى المثقال فعلى أن فى تك مجهولا والرفع فيه على أن الخبر مضمر كأنه قيل ان تك فى موضع مثقال حبة لأن النكرات تضمر أخبارها ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة وعنى بقوله مثقال حبة زنة حبة فتأويل الكلام اذا ان الأمر ان تك زنة حبة من خردل من خير أو شر عملته فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله يوم القيامة حتى يوفيك جزاءه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير أو شر * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله فتكن فى صخرة فقال بعضهم عنى بها الصخرة التى عليها الأرض وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره وقالوا هى صخرة خضراء ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحرث قال الصخرة خضراء على ظهر حوت حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله الأرض على حوت والحوت هو النون الذى ذكر الله فى القرآن ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض * وقال آخرون عنى بها الجبال قالوا ومعنى الكلام فتكن فى جبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فتكن فى صخرة

شاركوا المشركين فى الهلاك تغليظا عليهم اوهو كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أو المراد أن اهل الشرك كانوا أكثر من أهل سائر الاديان الباطلة كالمعطلة (٤٦) والمجسمة ونحوهم خاطب نبيه وبتبعيته أمته بقوله فأقم كأنه قال واذ قد ظهر فساد سائر الملل والنحل (فأقم وجهك للدين) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى) من الله (يوم) لا يرده راد ويجوز أن يتعلق قوله من الله بقوله لا مرد أى لا راد له من جهة الله فلا يقدر غيره على رده فلا دافع له أصلا (يومئذ يصدعون) أى يتصدعون والتصدع التفرق ثم بين وجه تفرق الناس بقوله (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره عليه لا على غيره (ومن عمل صالحا) أى آمن وعمل صالحا لان العمل الصالح لا يتصور الا بعد الايمان على أن الايمان أيضا عمل صالح قلبى ولسانى وسيصرح به فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعنى (يمهدون) يوطؤن كما يسوى الراقد مضجعه وجوز جار الله أن يراد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أم فرشت فأنامت وذلك أن الاشفاق يلزمه التمهيد عرفا وعادة ثم بين غاية التمهيد بقوله (ليجزى) وقوله (من فضله) عند أهل السنة ظاهر وحمله المعتزلة على شبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو الفضل بمعنى العطاء والثواب وفى قوله (انه لا يحب الكافرين) وعيد عظيم لهم لانه اذا لم يحبهم أرحم الراحمين فلا يتصور لهم خلاص من عذابه ولا مناص ولا رحمة من جهته ولا نعمة وفيه تعريض بأنه يحب المؤمنين ولا وعد أعظم من هذا ولا شرف فوق ذلك قال جار الله تكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين أى تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس قلت يشبه أن يكون مراده أنه ذكر الكافر أولا ثم المؤمن وفى الآية الثانية قرر أولا أمر المؤمن ثم أردفه

أى جبل وقوله يأت بها الله كان بعضهم يوجه معناه الى يعلمه الله ولا أعرف يأتى به بمعنى يعلمه الا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان انما وصف الله بذلك لأن الله يعلم أماكنه لا يخفى عليه مكان شئ منه فيكون وجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا أبو سفيان عن السدى عن أبى مالك فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الأرض يأت بها الله قال يعلمها الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك مثله وقوله ان الله لطيف خبير يقول ان الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لطيف خبير أى لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه يا بنى أقم الصلاة بحدودها وأمر بالمعروف يقول وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره وانه عن المنكر يقول وانه الناس عن معاصى الله ومواقعة محارمه واصبر على ما أصابك يقول واصبر على ما أصابك من الناس فى ذات الله اذا أنت أمرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم ان ذلك من عزم الأمور يقول ان ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك قال اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك ان ذلك من عزم الامور قال ان ذلك مما عزم الله عليه من الأمور يقول مما أمر الله به من الامور ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولا تصعر فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين ولا تصعر على مثال تفعل وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ولا تصاعر على مثال تفاعل والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه وأصل الصعر داء يأخذ الابل فى أعناقها أو رؤسها حتى تلفت أعناقها عن رؤسها فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ومنه قول عمرو بن حيي التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده * أقمناله من ميله فتقوما

واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا تصعر خدك للناس يقول ولا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تصعر قال الصدود والاعراض بالوجه عن الناس حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد فى هذه الآية ولا تصعر خدك للناس قال اذا كلمك الانسان

بتقرير أمر الكافر أو أراد أن قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات دل بصريحه على ثواب المؤمن وبتعريضه على حرمان الكافر وقوله انه لا يحب الكافرين دل بصريحه على حرمان الكافر وبتعريضه على ثواب المؤمن فالاول طرد والثانى عكس وكل منهما مقرر للآخر وحين ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح وبين أنه من دلائل الوحدانية بقوله (ومن آياته أن يرسل الرياح) ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح لما مر من أن الكريم لا يذكر لاحسانه سببا ويذكر لاضراره سببا ومن قرأ على التوحيد فللدلالة على الجنس ومن قرأ على الجمع فاما لانه أراد الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة دون الدبور التى هى للعذاب واما لان أكثر الرياح نافعة والضارة كالسموم قليلة جدا لا تهب الاحينا واما لان الرياح اذا اجتمعت وتزاحمت وتراكمت حتى صارت ريحا واحدا أضرت بالاشجار والأبنية وقلعتها واذا تفرقت وصارت رياحا اعتدلت ونفعت قوله (مبشرات) أى بالمطر كقوله بشرا بين يدى رحمته وقيل أى بتصحيح الأهوية واصلاح الابدان وقوله (وليذيقكم) اما معطوف على ما قبله معنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم بعض رحمته لان راحات الدنيا زائلة لا محالة واما معطوف على محذوف أى وليكون كذا وكذا أرسلناها وفى قوله (بأمره) اشارة الى أن مجرد هبوب الريح لا يكفى فى جريان الفلك ولكنها تجرى باذن الله وجعله الريح على اعتدال وقوام وفى قوله (ولتبتغوا من فضله) دلالة على أن ركوب البحر لأجل التجارة جائز وفى قوله (ولعلكم تشكرون) اشارة الى أن نعم الله تعالى يجب أن تقابل بالشكر وانما بنى الكلام فى هذه الآية على الخطاب بخلاف قوله لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون تشريفا لأهل الرحمة ورحمة الله قريب من المحسنين فكان من حقهم أن يخاطبوا ثم اشار الى أصل النبوة مع تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا) واختصر الكلام

فلما بذكر عاقبة الفريقين المجرم والمؤمن عليهما فعاقبة المجرمين الذين لم يصدقوا رسلهم الانتقام منهم وعاقبة الذين صدقوهم النصر والظفر على الاعداء وفي قوله (حقا علينا) تعظيم (٤٨) لأهل الايمان و رفع في شأنهم والافلا يجب لاحد على الله شئ ثم أراد أن يشير

لو يت وجهك وأعرضت عنه محقرة له حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان الرقي عن جعفر بن ميمون بن مهران قال هو الرجل يكلم الرجل فيلوي وجهه حدثنا عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو مكين عن عكرمة في قوله ولا تصعر خدك للناس قال لا تعرض بوجهك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض عن الناس يقول أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تصعر خدك للناس قال تصعيرا لخد التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مكين عن عكرمة قال الاعراض * وقال آخرون انما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه و بينه صعر لا على وجه التكبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ولا تصعر خدك للناس قال الرجل يكون بينه و بين أخيه الحنة فيراه فيعرض عنه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله ولا تصعر خدك للناس قال هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه * وقال آخرون هو التشديق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن أبي جعفر الرازي عن مغيرة عن ابراهيم قال هو التشديق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم قال هو التشديق أو التشدق «الطبري يشك» حدثنا يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم بمثله وقوله ولا تمش في الأرض مرحا يقول ولا تمش في الأرض مختالا كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تمش في الأرض مرحا يقول بالخيلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور قال نهاه عن التكبر قوله ان الله لا يحب كل مختال متكبر ذي فخر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كل مختال فخور قال متكبر وقوله فخور قال يعدد ما أعطى الله وهو لا يشكر الله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾ يقول وتواضع في مشيك اذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتئد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم من قال أمره بالتواضع في مشيه ومنهم من قال أمره بترك السرعة فيه ذكر من قال أمره بالتواضع في مشيه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد واقصد في مشيك قال التواضع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واقصد في مشيك قال نهاه عن الخيلاء ذكر من قال نهاه عن السرعة حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة عن يزيد بن أبي حبيب في قوله واقصد في مشيك قال من السرعة قوله واغضض من صوتك يقول واخفض من صوتك فاجعله قصدا اذا تكلمت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واغضض من صوتك قال أمره بالاقتصاد في صوته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واغضض من صوتك

الى الاصل الثالث وهو المعاد فمهد لذلك مقدمة منتزعة مما تقدم ذكره وهو بيان ارسال الرياح لاجل احداث السحاب الماطر المبسوطة بعضها على الاتصال والمتفرق بعضها كسفا أي قطعا وقوله (فترى الودق) اى المطر يخرج من خلاله قدمر في النور ثم ذكر في ضمن ذلك عجز الانسان وقلة ثباته وتوكله وقوله من قبله مكرر للتأكيد ومعناه الدلالة على أن عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم يأسهم وتحقق ابلاسهم وقيل أراد أنهم من قبل نزول المطر أو من قبل ما ذكرنا من ارسال الريح و بسط السحاب كانوا مبلسين وذلك أن عند رؤية السحب وهبوب الرياح قد يرجى المطر فلا يتحقق الابلاس ثم صرح بالمقصود قائلا (ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) ثم أكد تزلزل الانسان وتذبذبه وأنه بأدنى سبب يكفر بنعمة الله فقال (ولئن أرسلنا ريحا) ضارة باردة أو حارة (فرأوه) أي رأوا أثر الرحمة وهو النبات ومن قرأ آثار فالضمير عائد الى المعنى لان آثار الرحمة النبات أيضا واسم النبات يقع على القليل والكثير وانما قال (مصفرا) ولم يقل أصفر لان تلك الصفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد في تسلية رسوله بقوله (فانك لا تسمع الموتى) الى قوله (فهم مسلمون) وقد مر في آخر النمل ثم أعاد من دلائل التوحيد دليلا آخر من الأنفس وهو خلق

الآدمي وذكر أحواله وأطواره وتقلبه من ضعف الطفولية الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى ضعف الهرم وفي قوله قال خلقكم من ضعف اشارة الى أن أساس أمر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اى من نطفة وهذا الترديد

قال اخفض من صوتك واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان أنكر الأصوات لصوت الحمير فقال بعضهم معناه ان أقبح الأصوات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن شعبة وأبان بن تغلب قالا ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ان أنكر الاصوات قال ان أقبح الاصوات لصوت الحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان أنكر الاصوات لصوت الحمير أي أقبح الاصوات لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق أمره بالاقتصاد في صوته حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقول ان أنكر الاصوات (١) صوت الحمير * وقال آخرون بل معنى ذلك ان أشر الاصوات ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن واضح عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة والحكم بن عتيبة ان أنكر الاصوات قال أشر الاصوات * قال جابر وقال الحسن بن مسلم أشد الاصوات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان أنكر الاصوات لصوت الحمير قال لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ان أقبح أو أشر الاصوات وذلك نظير قولهم اذا رأوا وجها قبيحا أو منظرا شنيعا ما أنكر وجه فلان وما أنكر منظره وأما قوله لصوت الحمير فأضيف الصوت وهو واحد الى الحمير وهي جماعة فان لذلك وجهين ان شئت قلت الصوت بمعنى الجمع كما قيل لذهب بسمعهم وان شئت قلت معنى الحمير معنى الواحد لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدي عما يؤدي عنه الجمع

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ يقول تعالى ذكره ألم تروا أيها الناس أن الله سخر لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وسحاب وما في الارض من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم تتمتعون ببعض ذلك كله وتنتفعون بجميعه وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين وأسبغ عليكم نعمته على الواحدة ووجهوا معناها الى أنه الاسلام أو الى أنها شهادة أن لا اله الا الله وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة نعمه على الجماع ووجهوا معنى ذلك الى أنها النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والارض واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله شاكرا لأنعمه قالوا فهذا جمع النعم * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ومعنى الجماع وقد يدخل في الجماع الواحدة وقد قال جل ثناؤه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة وقال في موضع آخر ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه فجمعها فبأي القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد وفسره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج قال ثني مستور الهنائي عن حميد الاعرج عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة وباطنة وفسرها الاسلام حدثت عن الفراء قال ثني شريك بن عبد الله عن

(١) لعل فيه سقطا والأصل أي أقبح الاصوات صوت الخ تأمل كتبه مصححه

في الاطوار المختلفة" اظهر دليل على وجود الصانع العليم القدير وقوله (يخلق ما يشاء) كقوله في دليل الآفاق فيبسطه في السماء كيف يشاء والكل اشارة الى بطلان القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد وأحوال القيامة وذكر أن الكفار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى البعث وأن أهل العلم والايمان وهم الملائكة والانبياء وغيرهم حالهم بالعكس وذلك أن الموعود بوعد اذا ضرب له أجل يستكثر الاجل ويريد تعجيله والموعود بوعيد اذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها ومعنى (يؤفكون) يصرفون عن الصدق والتحقيق أي هكذا كان أمرهم في الدنيا مبنيا على الظن الكاذب وكانوا يصرون بمثله ويحتمل أن يكونوا ناسين أو كاذبين ومعنى في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو في علمه وقضائه أو فيما كتب وأوجب وفيه رد قول الكفار واطلاع لهم على مصدوقية الحال قال جار الله في الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أو أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم والفاء في قوله (فهذا يوم البعث) جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وبه تبين بطلان قولكم (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق ثم بين أن ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر من أهل الشرك وسائر انواع الظلم (ولاهم يستعتبون) أي لا يطلب منهم الرضا فلا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر في النحل ثم بين أن القرآن مشحون بقصص وأخبار كلها كالمثل في غرابتها وحسن مواقعها وأن الرسول مهما جاءهم بدليل أنكروه لان الذي اجترأ على العناد في دليل واحد الأغلب أن يجترأ على أمثاله وهذا نتيجة الطبع والخذلان فلا علاج في مثل هذه القضية الا بالصبر وتحمل أعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصرة

واعلاء الدين ومعنى (لا يستخفنك) لا يحملنك على الخفة والقلق قوم شاكون فأمثال هذه الافعال والاقوال لا تستبعد من أهل الريب والضلال أمر أن لا يضجر و يشتغل بالدعاء الى الحق حتى يأتى أوان النصر والظفر والله المستعان

خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ نعمة واحدة قال ولو كانت نعمه لكانت نعمة دون نعمة أو نعمة فوق نعمة « الشك من الفراء » **حدثنى** عبد الله بن محمد الزهرى قال ثنا سفيان قال ثنا حميد قال قرأ مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله **حدثنى** العباس بن أبى طالب قال ثنا ابن أبى بكير عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال كان يقول هى لا اله الا الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد قال لا اله الا الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عيسى عن قيس عن ابن عباس نعمة ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله وقوله ظاهرة يقول ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا وقوله و باطنة يقول و باطنة فى القلوب اعتقادا ومعرفة وقوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله واخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ولا هدى يقول ولا بيان يبين به صحة ما يقول ولا كتاب منير يقول ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى يبين حقية دعواه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ليس معه من الله برهان ولا كتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون فى توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به فانه يفرق بين المحق منا والمبطل و يفصل بين الضال والمهتدى فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فانهم كانوا أهل حق قال الله تعالى ذكره أولو كان الشيطان يدعوهم بتزيينه لهم سوء أعمالهم واتباعهم اياه على ضلالتهم وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه الى عذاب السعير يعنى عذاب النار التى تتسعر وتلتهب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ﴾ يقول تعالى ذكره ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة مقرا له بالالوهة وهو محسن يقول وهو مطيع لله فى أمره ونهيه فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك بالطرف الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه من تمسك به وهذا مثل وانما يعنى بذلك أنه قد تمسك من رضا الله باسلامه وجهه اليه وهو محسن ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى السوداء عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله وقوله والى الله عاقبة الامور يقول والى الله مرجع عاقبة كل أمر خيره وشره وهو المسائل أهله عنه ومجازيهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يقول تعالى ذكره ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره ولا تذهب نفسك عليهم حسرة فان مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة الينا ونحن نخبرهم بأعمالهم

﴿ سورة لقمان مكية الا ثلاث آيات ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الخ حروفها ألفان ومائة وعشرة كلمها خمسمائة وثمانية وأربعون آياتها ثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى و رحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك

الخبيثة

ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ ۞ القرا آت ورحمة بالرفع حمزة وأبو عون (٥١) عن قنبل ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ويتخذها بالنصب يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد يا بنى لا تشرك بسكون الياء البزى والقواس وقرأ حفص والمفضل بفتح الياء وكذا فى قوله يا بنى أقم الباقون بكسر الياء مثقال بالرفع أبو جعفر ونافع تصاعر بالألف أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى وخلف الآخرون بالتشديد ۞ الوقوف الم ه كوفى الحكيم ه وقف لمن قرأ ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قرأ بالنصب على الحال والعامل معنى الاشارة فى تلك فلا وقف للمحسنين ه لا يوقنون ه ط المفلحون ه بغير علم ط قد يوقف لمن قرأ ويتخذها بالرفع والوصل أحسن لانه وان لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف على يشترى هزوا ط مهين ه وقرا ط لانقطاع النظم مع اتصال الفاء أليم ه النعيم ه لا للحال والعامل معنى الفعل فى لهم فيها ط لان التقدير وعد الله وعدا حقا ط الحكيم ه دابة ه للعدول كريم ه دونه ط مبين ه لله ط لنفسه ج حميد ه بالله ط وقد يوقف على لا تشرك على جعل الباء للقسم وهو تكلف عظيم ه بوالديه ج لانقطاع النظم مع تعلق أن اشكر بوصينا ولوالديك ط المصير ه معروفا ز للعدول عن بعض المأمور الى الكل مع اتفاق الجملتين الىّ ج لان ثم لترتيب الاخبار تعملون ه الله ط خبير ه أصابك ط الامور ه ج للآية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا ط فخور ج لما ذكر من صوتك ه ط الحمير ه ۞ التفسير لما قال فى آخر السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وكان فيه اشارة الى اعجاز القرآن ودل ما بعده الى تمام السورة على أنهم مصرون على كفرهم أكد تلك المعانى

الخبيثة التى عملوها فى الدنيا ثم نجازيهم عليها جزاءهم ان الله عليم بذات الصدور يقول ان الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله وايثار طاعة الشيطان وقوله نمتعهم قليلا يقول نمهلهم فى هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يقول ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا وذلك عذاب النار نعوذ بالله منها ومن عمل يقرب منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد فاذا قالوا ذلك فقل لهم الحمد لله الذى خلق ذلك لا لمن لا يخلق شيأ وهم يخلقون ثم قال تعالى ذكره بل أكثرهم لا يعلمون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون من الذى له الحمد وأين موضع الشكر وقوله لله ما فى السموات والارض يقول تعالى ذكره لله كل ما فى السموات والارض من شئ ملكا كائنا ما كان ذلك الشئ من وثن وصنم وغير ذلك مما يعبد أو لا يعبد ان الله هو الغنى الحميد يقول ان الله هو الغنى عن عبادة هؤلاء المشركين به الاوثان والانداد وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه لانهم ملكه وله وبهم الحاجة اليه الحميد يعنى المحمود على نعمه التى أنعمها على خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن شجر الارض كلها بريت أقلاما والبحر يمده يقول والبحر له مداد والهاء فى قوله يمده عائدة على البحر وقوله من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه وهو يكتب كلام الله بتلك الاقلام وبذلك المداد لتكسرت تلك الاقلام ولنفد ذلك المداد ولم تنفد كلمات الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن هذه الآية ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام قال لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحور مدادا وقال الله ان من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحور وتكسرت الاقلام حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو فى قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام قال لو بريت أقلاما والبحر مدادا فكتب بتلك الاقلام منه ما نفدت كلمات الله ولو مده سبعة أبحر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد قال لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه * وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب مجادلة كانت من اليهود له ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال ثنى رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا فقالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو أنّ ما فى الارض من

فى أول هذه السورة وتفسيره الى المفلحون كما فى أول البقرة الا قوله تلك آيات الكتاب الحكيم فانه مذكور فى أول يونس وحيث زاده هنا ورحمة قال للمحسنين فان الاحسان مرتبة

فوق التقوى لقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه ولقوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ومما يؤيد ماقلنا أنه لم يقل هنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فان الاحسان لامزيد عليه فى باب العقائد ثم بين حال المعرضين عن الحق بقوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الاضافة بمعنى من أى الحديث الذى هو لهو ومنكر وجوز فى الكشاف أن تكون من للتبعيض أى يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه وفيه نظر لانه يصح هذا التأويل فى قولنا خاتم فضة وليس بمشهور قال المفسرون نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فعلى هذا معنى (ليضل) بضم الياء ظاهر ومن قرأ بالفتح فمعناه الثبات على الضلال أو الاضلال نوع من الضلال وقوله (بغير علم) متعلق بيشترى كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى للتجارة قاله فى الكشاف وغيره ولايبعد عندى تعلقه بقوله ليضل كما قال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح واذا كان الحديث لهوا لافائدة فيه كان أقبح وقد يسوغه بعض الناس بطريق الاحماض كما ينقل عن ابن عباس أنه قال أحمضوا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الترويح بالمطايبة وان كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله يا بلال روحنا

شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله أى ان التوراة فى هذا من علم الله قليل حدثنا ابن المثنى قال ثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم الا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال لما نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعنى اليهود فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفتعنينا أم قومك قال كلا قد عنيت قالوا فانك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم فأنزل الله ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر الى قوله ان الله سميع بصير * واختلفت القراء فى قراءة قوله والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء وقرأته قراء البصرة نصبا عطفا به على مافى قوله ولو أن مافى الارض وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندى وقوله ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن أشرك به وادعى معه الها غيره حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾ يقول تعالى ذكره ماخلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله الا كخلق نفس واحدة وبعثها وذلك أن الله لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع منه شئ شاءه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسواء خلق واحد وبعثه وخلق الجميع وبعثهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كنفس واحدة يقول كن فيكون للقليل والكثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال يقول انما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها وانما صلح أن يقال الا كنفس واحدة والمعنى الا كخلق نفس واحدة لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله ماخلقكم ولا بعثكم والعرب تفعل ذلك فى المصادر ومنه قول الله تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت والمعنى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت وقوله ان الله سميع بصير يقول تعالى ذكره ان الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم من ادعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد بعينك أن الله يولج الليل فى النهار يقول يزيد من نقصان ساعات الليل فى ساعات النهار ويولج النهار فى الليل يقول يزيد مانقص من ساعات

ثم انه اذا لم يقصد به الاحماض بل يقصد به الاضلال لم يكن عليه مزيد فى القبح ولاسيما اذا كان مع اشتغاله بلهو الحديث مستكبرا عن آيات
الله التى هى محض الحكمة كما قال (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) ومحل (٥٣) (كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا) نصب على
الحال قال جار الله الاولى حال من
ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها
قلت هذا بناء على تجويز الحال
المتداخلة والافمن الجائز أن يكون
كل منهما ومستكبرا حالا من فاعل
ولى أى مستكبرا مشابها لمن
لم يسمعها مشابها لمن فى أذنيه وقر
وجوز أن يكونا مستأنفين وتقدير
كأن المخففة كأنه والضمير للشأن
قال أهل البرهان هذه الآية والتى
فى الجاثية نزلتا باتفاق المفسرين
فى النضر الا أنه بالغ ههنا فى ذمه
لتركه استماع القرآن فقال بعد قوله
كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا
أى صمما لا يقرع مسامعه صوت
فان عدم السماع أعم من أن يكون
بوقر الاذن أو بنحو غفلة وترك الجملة
الثانية فى الجاثية لانه لم يبن الكلام
هنالك على المبالغة بدليل قوله واذا
علم من آياتنا شيأ والعلم لا يحصل
الا بالسماع أو ما يقوم مقامه من
خط وغيره وحين بين وعيد
أعداء الدين بين حال أولياء الله بقوله
(ان الذين آمنوا) الآية وقد مر مثله
مرارا وفى قوله (وهو العزيز الحكيم)
اشارة الى أنه لا غالب له ولا مناوئ
يعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء
حسب ما تقتضيه حكمته وعدله
ثم بين عزته وحكمته بقوله (خلق
السموات بغير عمد) وقد مر فى أول
الرعد وقوله (وألقى فى الارض)
مذكور فى أول النحل و (من كل
زوج كريم) ذكر فى أول الشعراء
(هذا) الذى ذكر من السموات
بكيفياتها والارض بهيآتها بسائطها
ومركباتها (خلق الله) أى مخلوقه (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) وهم الآلهة بزعمهم وهذا أمر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم
بالضلال المبين ثم بين فساد اعتقاد أهل الشرك بأنه مخالف أيضا لعقيدة الحكماء الذين يعولون على المعقول الصرف منهم لقمان بن باعوراء

ساعات النهار فى ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار نقصان الليل فى زيادة النهار ويولج النهار فى الليل نقصان النهار
فى زيادة الليل وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره وسخر
الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم كل يجرى يقول كل ذلك يجرى بأمره الى وقت معلوم
وأجل محدود اذا بلغه كورت الشمس والقمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس
والقمر كل يجرى الى أجل مسمى يقول لذلك كله وقت وحد معلوم لا يجاوزه ولا يعدوه وقوله
وان الله بما تعملون خبير يقول وان الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه
منها شئ وهو مجازيكم على جميع ذلك وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى به المشركون وذلك أنه تعالى ذكره نبه بقوله أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل على موضع حجته من جهل عظمته وأشرك فى عبادته معه غيره يدل على ذلك قوله ذلك
بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو
الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى
أخبرتك يا محمد أن الله فعله من ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وغير ذلك من عظيم قدرته
انما فعله بأنه الله حقا دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ولا تصلح
الالوهة الا لمن فعل ذلك بقدرته وقوله وأن ما يدعون من دونه الباطل يقول تعالى ذكره وبأن
الذى يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذى يضمحل فيبيد ويفنى وأن الله هو العلى
الكبير يقول تعالى ذكره وبأن الله هو العلى يقول ذو العلو على كل شئ وكل ما دونه فله متذلل منقاد
الكبير الذى كل شئ دونه فله متصاغر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الفلك تجرى
فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن السفن تجرى فى البحر نعمة من الله على خلقه ليريكم
من آياته يقول ليريكم من عبره وحججه عليكم ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان فى
جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل لكل
صبار شكور يقول لكل من صبر نفسه عن محارم الله وشكره على نعمه فلم يكفره حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف يقول ان من أحب عباد الله اليه
الصبار الشكور حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة قال الصبر نصف الايمان والشكر
نصف الايمان واليقين الايمان كله ألم تر الى قوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ان فى ذلك
لآيات للموقنين ان فى ذلك لآيات للمؤمنين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
سفيان عن مغيرة عن الشعبى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور قال الصبر نصف الايمان
واليقين الايمان كله ان قال قائل وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور دون
سائر الخلق قيل لأن الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجى والعقول فأخبران فى ذلك لآيات
لكل ذى عقل لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوى العقول والتمييز ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد

ابن أخت أيوب أو ابن خالته أو من اولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود
عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفيت وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما عن ابن عباس
لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي الله قوله ووصيته وحكاها في القرآن وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وقال عكرمة والشعبي كان نبيا روي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد وقد لين الله له الحديد فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا ثم فسر الحكمة بقوله (أن اشكر لله) لان ايتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا امر تكوين أي جعلناه شاكرا فان أمر التكليف يستوي فيه الجاهل والحكيم وفيه تنبيه على أن شكر المعبود الحق رأس كل العبادة وسنام الحكمة وفائدته ترجع الى العبد لا الى المعبود فانه غني عن شكر الشاكرين مستحق للحمد وان لم يكن على وجه الارض حامد وحين بين كماله شرع في تكميله وذلك لانه المسمى أنعم أو أشكم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما ووجه كون الشرك ظلما عظيما أنه وضع فيه أخس الاشياء
وهو الفقير المطلق موضع أشرف الاشياء وهو الغني المطلق ثم وصى الله سبحانه الانسان بشكر انعام الوالدين وبطاعتهما هو
وان كانا كافرين الا أن يدعواه الى الاشراك بالله وهذه جملة معترضة نيط باعتراضها غرضان أحدهما أن طاعة الأبوين تالية لعبادة الله

بآياتنا الا كل ختار كفور ﴾ يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والاوثان في البحر اذا ركبوا في الفلك موج كالظلل وهي جمع ظلة شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء قال نابغة بني جعدة في صفة بحر

يماشيهن أخضر ذو ظلال * على حافاته فلق الدنان

وشبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جماع لان الموج يأتي شيء منه بعد شيء ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل وقوله دعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء موج كالظلل فخافوا الغرق فزعوا الى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة لا يشركون به هنالك شيئا ولا يدعون معه أحدا سواه ولا يستغيثون بغيره قوله فلما نجاهم الى البر مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك الى البر فمنهم مقتصد يقول فمنهم مقتصد في قوله واقراره بربه وهو مع ذلك مضمر الكفر به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد في القول وهو كافر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد الذي على صلاح من الامر وقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يقول تعالى ذكره وما يكفر بادلتنا وحججنا الا كل غدار بعهده والختر عند العرب أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدي كرب

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور يعني جحود للنعم غير شاكر ما أسدى اليه من نعمة * وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد كل ختار كفور قال كل غدار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل ختار قال غدار حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال غدار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور الختار الغدار كل غدار بذمته كفور بربه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال كل جحاد كفور حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال الختار الغدار كما تقول غدرني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر قال سمعت قتادة قال الذي يغدر بعهده * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال الغدار * قال ثنا أبي عن الأعمش عن شمر بن عطية الكاهلي عن علي رضي الله عنه قال المكر غدر والغدر كفر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ يقول تعالى ذكره أيها المشركون من قريش اتقوا الله وخافوا أن يحل بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده ولا مولود

والثانى تأكيد كون الشرك أمرا فظيعا منكرا حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته وقوله (حملته أمه وهنا) أى حال كونها تهن وهنا (على وهن) أى ضعفا على ضعف لان الحمل كلما زاد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا اعتراض فى اعتراض تحريضا على رعاية

هو مغن عن والده شيأ لان الامر يصير هنالك بيد من لا يغالب ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل الا وسيلة من صالح الاعمال التى أسلفها فى الدنيا وقوله ان وعد الله حق يقول اعلموا أن مجىء هذا اليوم حق وذلك أن الله قد وعده عباده ولا خلف لوعده فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها فتميلوا اليها وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله خادع والغرور بفتح الغين هو ما غر الانسان من شئ كائنا ما كان شيطانا كان أو انسانا أو دنيا وأما الغرور بضم الغين فهو مصدر من قول القائل غررته غرورا * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الغرور قال الشيطان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يغرنكم بالله الغرور ذاكم الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزى يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الغرور قال الشيطان وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن بيد قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ هو آتيكم علم اتيانه اياكم عند ربكم لا يعلم أحد متى هو جائيكم لا يأتيكم الا بغتة فاتقوه أن يفجأكم بغتة وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها فتصيروا من عذاب الله وعقابه الى ما لا قبل لكم به وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجىء الساعة والمعنى ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه فقال ان الله عنده علم الساعة التى تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره وينزل الغيث من السماء لا يقدر على ذلك أحد غيره ويعلم ما فى الارحام أرحام الاناث وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا يقول وما تعلم نفس حى ماذا تعمل فى غد وما تدرى نفس بأى أرض تموت يقول وما تعلم نفس حى بأى أرض تكون منيتها ان الله عليم خبير يقول ان الذى يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه انه ذو علم بكل شئ لا يخفى عليه شئ خبير بما هو كائن وما قد كان * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان الله عنده علم الساعة قال جاء رجل «قال أبو جعفر» أحسبه أنا قال الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان امرأتى حبلى فأخبرنى ماذا تلد وبلادنا محل جدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرنى متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر السورة قال فكان مجاهد يقول هن مفاتح الغيب التى قال الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله عنده علم الساعة الآية أشياء من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى

حق الوالدة خصوصا روى بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال قلت يا رسول الله من أبر قال أمك ثم أمك ثم أباك وقوله (وفصاله فى عامين) توقيت للفطام كامر فى البقرة فى قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وفيه تنبيه آخر على ما كابدته الأم من المشاق ومعنى (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا على ما يقتضيه العرف والشرع وفى قوله (واتبع سبيل من أناب الىّ) اشارة أخرى الى أنهما لو لم يكونا منيبين الى الرب لم يتبع سبيلهما فى الدين وان لزم طاعتهما فى الدنيا وفى باب حسن العشرة والصحبة واتفق المفسرون على أن هذه الآية ونظيرتها التى فى العنكبوت وفى الأحقاف نزلت فى سعد بن أبى وقاص وفى أمه حمنة بنت أبى سفيان وذلك أنه حين أسلم قالت يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت وان الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآيات فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترضاها بالاحسان وانما لم يذكر فى هذه السورة قوله حسنا لان قوله أن اشكر قام مقامه وانما قال ههنا وان جاهداك على أن تشرك لأنه أراد وان حملاك على الاشراك وقال فى العنكبوت لتشرك موافقة لما قبله فانما يجاهد لنفسه مع أن مبنى الكلام هنالك على الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم فى خاتمة الآية بقوله (فأنبئكم بما كنتم تعملون) أتبعه ما يناسبه من وصايا لقمان وهو قوله (يا بنى انها) أى القصة (ان تك) أى الحبة من الاساءة أو الاحسان فى الصغر كحبة الخردل

تقوم الساعة فى أىّ سنة أوفى أى شهر أوليل أونهار ويترل الغيث فلا يعلم أحد متى يترل الغيث ليلا أونهارا ينزل ويعلم مافى الارحام فلا يعلم أحد مافى الارحام أذكرا أوأنثى أحمر أوأسود أوماهو وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا خير أم شر ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الارض فى بحر أو بر أوسهل أوجبل تعالى وتبارك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال قالت عائشة من قال ان أحدا يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله قال الله لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس بن عبيد عن عمرو بن شعيب أن رجلا قال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته قال لقد أوتيت علما كثيرا وعلما حسنا أوكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى ان الله عليم خبير لا يعلمهن الا الله تبارك وتعالى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عمرو بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمسة ثم قرأ هؤلاء الآيات ان الله عنده علم الساعة الى آخرها حدثنى على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام الآية ثم قال لا يعلم مافى غد الا الله ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله ولا يعلم أحد مافى الارحام الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن مسعر عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ أوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم الا علم الغيب الخمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أنه يعلم مافى غد فقد كذب ثم قرأت وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا * قال ثنا جرير وابن علية عن أبى خباب عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية حدثنى أبو شرحبيل قال ثنا ابو اليمان قال ثنا اسمعيل عن جعفر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ قد أوتى نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس ثم قرأ هذه الآية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها وقيل بأى أرض تموت وفيه لغة أخرى بأية أرض فمن قال بأى أرض اجترأ بتأنيث الارض من أن يظهر فى أى تأنيث آخر ومن قال بأية أرض فأنث أى قال قد تجترى بأى مما أضيف اليه فلابد من التأنيث كقول القائل مررت بامرأة فيقال له بأية ومررت برجل فيقال له بأى ويقال أى امرأة جاءتك وجاءك وأية امرأة جاءتك

آخر تفسير سورة لقمان

ويجوز أن يقال الحبة ان تك كحبة الخردل ومن قرأ (مثقال) بالرفع تعين أن يكون الضمير فى انها للقصة وتأنيث تك لاضافة المثقال الى الحبة وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر أى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الأشياء فى أخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء * سؤال الصخرة لابد أن تكون فى السموات أوفى الارض فما الفائدة فى ذكرها الجواب على قول الظاهريين من المفسرين ظاهر لانهم قالوا الصخرة هى التى عليها الثور وهى لافى الارض ولا فى السماء وقال اهل الأدب فيه اضمار والمراد فى صخرة أوفى موضع آخر من السموات والأرض ومثله قول جار الله أراد فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أوحيث كانت فى العالم العلوى أوالسفلى وقال أهل التحقيق ان خفاء الشئ يكون اما لغاية صغره واما لاحتجابه واما لكونه بعيدا واما لكونه فى ظلمة فأشار الى الاول بقوله مثقال حبة من خردل والى الثانى بقوله فتكن فى صخرة والى الثالث بقوله أوفى السموات والى الرابع بقوله أوفى الأرض وقوله (يأت بها الله) أبلغ من قول القائل يعلمه الله ففيه مع العلم بمكانه اظهار القدرة على الاتيان به (ان الله لطيف) نافذ القدرة (خبير) ببواطن الأمور وحين منع ابنه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بمكارم الاخلاق والعادات وأولها الصلاة وفيها تعظيم المعبود الحق وبعدها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله (واصبر على ما أصابك) من أذيات الخلق فى البأس أوهو مطلق فى كل ما يصيبه من المصائب والمكاره (ان ذلك) المذكور (من عزم الأمور) أى من معزوماتها من عزم الأمر بالنصب اذا قطعه قطع ايجاب والزام ومنه العزيمة خلاف الرخصة أو من عزم الأمر بالرفع أى جد وقد مر فى آخر آل عمران وحين أمره بأن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره

(تفسير

﴿ تفسير سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل قوله الم بما فيه الكفاية وقوله تنزيل الكتاب لا ريب فيه يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا شك فيه من رب العالمين يقول من رب الثقلين الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه لا شك فيه وانما معنى الكلام أن هذا القرآن الذى أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله وليس بشعر ولا سجع كاهن ولا هو مما تخرصه محمد صلى الله عليه وسلم وانما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين قالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقول الذين قالوا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وقوله أم يقولون افتراه يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه وتكذبه وأم هذه تقرير وقد بينا في غير موضع من كتابنا أن العرب اذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك ويقولون وقال أم بمعنى الواو بمعنى بل في مثل هذا الموضع ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد أنزله اليك لتنذر قوما بأس الله وسطوته أن يحل بهم على كفرهم به ما أتاهم من نذير من قبلك يقول لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد اليهم وهم قومه من قريش نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك وقوله لعلهم يهتدون يقول ليتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به * وبمثل الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون قال كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولىّ ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له أيها الناس الذى خلق السموات والارض وما بينهما من خلق في ستة أيام ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والارض وما بينهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع يقول ما لكم أيها الناس اله الا من فعل هذا الفعل وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام وقوله ما لكم من دونه من ولىّ ولا شفيع يقول ما لكم أيها الناس دونه ولىّ يلى أمركم وينصركم منه ان أراد بكم ضرا ولا شفيع يشفع لكم عنده ان هو عاقبكم على معصيتكم اياه يقول فاياه فاتخذوا وليا وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم فانه يمنعكم اذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو لأنه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب أفلا تتذكرون يقول تعالى ذكره أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولىّ ولا شفيع فتفردوا له الألوهة وتخلصوا له

وكان يخشى عليه أن يتكبر على الغير بسبب كونه مكملا له أو يتبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه قال (ولا تصعر خدك للناس) يقال أصعر خده وصعره وصاعره من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق الوجه كعادة المتكبرين ومعنى (لا تمش في الارض مرحا) مذكور في سورة سبحان الذى والمختال والفخور مذكوران في سورة النساء فالمختال هو الماشي لاجل الفرح والنشاط لا لمصلحة دينية أو دنيوية والفخور هو المصعر خده بين أن الله لا يحبهما فيلزم الاجتناب عن الاتصاف بصفتهما ثم أمره عند الاحتياج الى المشي لضرورة بالمشي القصد أي الوسط بين السرعة والابطاء على قياس سائر الاخلاق والآداب فخير الامور أوساطها ومثله غض الصوت حين التكلم قال أهل البيان في تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ باسمها في أغلب الامر وفي تمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن أداة التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة تنبيه على أن الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ولا فائدة مكروه عند الله جدا واشتقاق أنكر من النكر ليكون على القياس لا من المنكر والحمير جمع الحمار وانما لم يقل أصوات الحمير لان المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وان أنكر أصوات هذه الاجناس صوت أفراد هذا الجنس قال بعض العقلاء من نكر صوت هذا الحيوان أنه لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق وأما سائر الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة قالوا ومن فوائد عطف الامر بغض الصوت على الامر بالقصد في المشي أن الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء كالغنم تطلب السخلة ومنها أن الانسان له عقيدة ولسان وجوارح يتحرك

بها كسائر الحيوانات فأشار الى الاولى بقوله انها ان تك مثقال حبة أى أصلح ضميرك فان الله خبير وأشار الى التوسط فى أفعال الجوارح بقوله واقصد فى مشيك والى التوسط (٥٨) فى الاقوال بقوله اغضض من صوتك أو نقول أشار بقوله أقم الصلاة الى الاوصاف

الملكية التى يجب أن تكون فى الانسان و بقوله وأمر الى قوله مرحا الى الاوصاف الفاضلة الانسانية و بقوله واقصد واغضض الى الاوصاف التى يشارك فيها الانسان سائر الحيوان والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ و يؤتون الزكاة هى للعوام مقادير معينة من المال كربع العشر من عشرين وللخواص اخراج كل المال فى سبيل الله ولاخص الخواص بذل الوجود لنيل المقصود لهوا الحديث قال الجنيد السماع على أهل النفوس حرام لبقاء نفوسهم وعلى أهل القلوب مباح لوفور علومهم وصفاء قلوبهم وعلى أصحابنا واجب لفناء حظوظهم وإذ قال لقمان القلب لابنه السر المتولد من ازدواج الروح والقلب وهو يعظه أن لا يتصف بصفات النفس العابدة للشيطان والهوى والدنيا فى عامين يريد فطامه عن مألوفات الدارين وان جاهداك فيه أن السر لا ينبغى له أن يلتفت الى الروح أو القلب اذا اشتغلا بغير الله فى أوقات الفترات فان الروح قد يميل الى مجانسه من الروحانيات والقلب يميل تارة الى الروح وأخرى الى النفس ولكنه يرجى الصلاة بعد الفترة وأما السر فاذا زال عن طبيعته وهو الاخلاص فى التوحيد فاصلاح حاله ممكن بعيد واتبع سبيل من أناب الى وهو الخفى انها ان تك يعنى القسمة الازلية من السعادة وضدها لصوت الحمير قالوا هو الصوفى يتكلم قبل أوانه

العبادة وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾ يقول تعالى ذكره الله هو الذى يدبر الامر من أمر خلقه من السماء الى الارض ثم يعرج اليه * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون فقال بعضهم معناه أن الامر ينزل من السماء الى الارض و يصعد من الارض الى السماء فى يوم واحد وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا لان ما بين الارض الى السماء خمسمائة عام وما بين السماء الى الارض مثل ذلك فذلك ألف سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد فى يوم كان مقداره ألف سنة يعنى بذلك نزول الأمر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يقول مقدار مسيره فى ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال تعرج الملائكة الى السماء ثم تنزل فى يوم من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن عكرمة ألف سنة مما تعدّون قال من أيام الدنيا حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى الحرث عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم هذه مسيرة ما بين السماء الى الارض خمسمائة عام * وذكر عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال تنحدر الامور وتصعد من السماء الى الارض فى يوم واحد مقداره ألف سنة خمسمائة حتى ينزل وخمسمائة حتى يعرج * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن الخلق كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ألف سنة مما تعدون قال ذلك مقدار المسير قوله كألف سنة مما تعدّون قال خلق السموات والارض فى ستة أيام وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون قال الستة الايام التى خلق الله فيها السموات والارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون يعنى هذا اليوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن السموات والارض وما بينهما * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض بالملائكة ثم تعرج اليه الملائكة فى يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال هذا فى الدنيا تعرج الملائكة اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة

عن

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٥٩) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

عن سماك عن عكرمة فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة مما تعدون (١) من أيام الآخرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض فى يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ثم يعرج اليه ذلك التدبير الذى دبره ذكر من قال ذلك * ذكر عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال يقضى أمر كل شئ ألف سنة الى الملائكة ثم كذلك حتى تمضى ألف سنة ثم يقضى أمر كل شئ ألفا ثم كذلك أبدا قال يوم كان مقداره قال اليوم أن يقال لما يقضى الى الملائكة ألف سنة كن فيكون ولكن سماه يوما سماه كما بينا كل ذلك عن مجاهد قال وقوله ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هو هو سواء * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الى الله فى يوم كان مقداره ألف سنة مقدار العروج ألف سنة مما تعدون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال بعض أهل العلم مقدار ما بين الارض حين يعرج اليه الى أن يبلغ عروجه ألف سنة هذا مقدار ذلك المعراج فى ذلك اليوم حين يعرج فيه * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معناه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقدار ذلك اليوم فى عروج ذلك الامر اليه ونزوله الى الارض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمسمائة فى النزول وخمسمائة فى الصعود لان ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى يفعل ما وصفت لكم فى هذه الآيات هو عالم الغيب يعنى عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس وما لم يكن بعد مما هو كائن والشهادة يعنى ما شاهدته الابصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود العزيز يقول الشديد فى انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره وكذب رسله الرحيم بمن تاب من ضلالته ورجع الى الايمان به وبرسوله والعمل بطاعته أن يعذبه بعد التوبة وقوله الذى أحسن كل شئ خلقه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة أحسن كل شئ خلقه بسكون اللام وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين أحسن كل شئ خلقه بفتح اللام * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى وذلك أن الله أحكم خلقه وأحكم كل شئ خلقه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه أتقن كل شئ وأحكمه ذكر من قال ذلك حدثنى العباس بن أبى طالب قال ثنا الحسين ابن ابراهيم اشكاب قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الذى أحسن كل شئ خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو النضر قال ثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها الذى أحسن كل شئ خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكمها حدثنى

(١) الذى فى الدر من أيام الدنيا وهو واضح اه كتبه مصححه

ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير﴾ ۞ القراآت نعمه على الجمع أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن الآخرون بالرفع حملا على محل أن ومعمولها وأن ما يدعون على الغيبة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحفص وسهل ويعقوب وينزل الغيث بالتشديد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم

۞ الوقوف وباطنة ط منير ه آباءنا ط السعير ه الوثقى ط الامور ه كفره ه عملوا ط الصدور ه غليظ ه

ليقولن الله ط لله ط لايعلمون ه والارض ط الحميد ه كلمات الله ط حكيم ه واحدة ط بصير ه والقمر ز لان قوله كل مبتدأ
مع عطف أن على أن الاولى خبير ه الباطل لا الكبير ه من آياته ط شكور ه الدين ج مقتصد ط كفور ه

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أتقن كل شئ خلقه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبدالله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أتقن كل شئ أحصى كل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك الذى حسن خلق كل شئ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذى أحسن كل شئ خلقه حسن على نحو ما خلق وذكر عن الحجاج عن ابن جريج عن الأعرج عن مجاهد قال هو مثل أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ولا خلق الناس فى خلق البهائم ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا * وقال آخرون بل معنى ذلك أعلم كل شئ خلقه كأنهم وجهوا تأويل الكلام الى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وأن قوله أحسن انما هو من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ خلقه قال الانسان الى الانسان والفرس للفرس والحمار للحمار وعلى هذا القول الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه الذى أحسن كل شئ خلقه بفتح اللام قول من قال معناه أحكم وأتقن لأنه لا معنى لذلك اذا قرئ كذلك الا أحد وجهين اما هذا الذى قلنا من معنى الاحكام والاتقان أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحسن فلما كان فى خلقه ما لا يشك فى قبحه وسماجته علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته وأما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام فان أولى تأويلاته به قول من قال معنى ذلك أعلم وألهم كل شئ خلقه هو أحسنهم كما قال الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى لأن ذلك أظهر معانيه وأما الذى وجه تأويل ذلك الى أنه بمعنى الذى أحسن خلق كل شئ فانه جعل الخلق نصبا بمعنى التفسير كأنه قال الذى أحسن كل شئ خلقا منه وقد كان بعضهم يقول هو من المقدم الذى معناه التأخير ويوجهه الى أنه نظير قول الشاعر

وظعنى اليك الليل حضنيه اننى * لتلك اذا هاب الهداة فعول

يعنى وظعنى حضنى الليل اليك ونظير قول الآخر

كأن هندا ثناياها وبهجتها * يوم التقينا على أدحال دباب

أى كأن ثنايا هند وبهجتها وقوله وبدأ خلق الانسان من طين يقول تعالى ذكره وبدأ خلق آدم من طين ثم جعل نسله يعنى ذريته من سلالة يقول من الماء الذى انسل فخرج منه وانما يعنى من اراقة من مائه كما قال الشاعر

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقوله من ماء مهين يقول من نطفة ضعيفة رقيقة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبدأ خلق الانسان من طين وهو خلق آدم ثم جعل نسله أى ذريته من سلالة من ماء مهين والسلالة هى الماء المهين الضعيف حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن أبي يحيى الاعرج

عن ولده لا لعطف الجملتين المختلفتين لفظا مع صدق الاتصال معنى شيأ ط الدنيا قف للفصل بين الموعظتين الغرور ه الساعة ج لاختلاف الجملتين الغيث ج وان اتفقت الجملتان للتفصيل بين غيب وغيب الارحام ط لابتداء الجملة المنفية التى فيها استفهام غدا ط لابتداء نفى آخر مع تكرار نفس دون الاكتفاء بضميرها تموت ط خبير ه ❁ التفسير لما ذكر أن معرفة الصانع غير مختصة بالنبوة ولكنها توافق الحكمة أيضا ولو كانت تعبدا محضا للزم قبوله كيف وانها توافق المعقول أعاد الاستدلال بالامور المشاهدة الآفاقية والأنفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر فى سورة ابراهيم من قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الآية ومعنى أسبغ أتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد للحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها الحواس أنفسها والباطنة ما لا يدرك الا بالحس الباطن أو بالعقل أو لا يعلم أصلا ومن المفسرين من يخص فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ظاهرا والباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة والعلم وقيل النفس ثم ذكر أن بعض الناس يجادلون فى الله بعد ظهور الدلائل على وحدانيته وقد مر فى أول الحج ثم ذكر أنه لا مستند له فى ذلك الا التقليد ثم وبخه على جهله وتقليده بأنه يتبع سبيل الشيطان ولو دعاه الى النار قائلا (أولو كان) الخ ومعناه أيتبعونهم ولو كان كذا ثم أراد أن يفصل حال المؤمن والكافر بعض التفصيل فقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو نظير قوله فى البقرة

بلى من أسلم وجهه لله والفرق ان معناه مع الى يرجع الى التفويض والتسليم ومع اللام يؤول الى الاخلاص والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيل كما مر فى آية الكرسى وقوله (يمتعهم) الآية كقوله فى البقرة ومن كفر (٦١) فأمتعه قليلا ثم أضطره وغلظ العذاب شدته

الاعرج عن ابن عباس فى قوله من سلالة قال صفو الماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من ماء مهين قال ضعيف نطفة الرجل ومهين فعيل من قول القائل مهن فلان وذلك اذا ذل وضعف

القول فى تأويل قوله تعالى (ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى ذكره ثم سوى الانسان الذى بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ونفخ فيه من روحه فصار حيا ناطقا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون يقول وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك وقوله قليلا ما تشكرون يقول وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم

القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون) يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث أئذا ضللنا فى الأرض أى صارت لحومنا وعظامنا ترابا فى الأرض وفيها لغتان ضللنا وضللنا بفتح اللام وكسرها والقراءة على فتحها وهى الجوداء وبها نقرأ وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ أئذا صللنا بالصاد بمعنى أنتنا من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن وانما عنى هؤلاء المشركون بقولهم أئذا ضللنا فى الأرض أى اذا هلكت أجسادنا فى الأرض لأن كل شئ غلب عليه غيره حتى خفى فيما غلب فانه قد ضل فيه تقول العرب قد ضل الماء فى اللبن اذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه الماء ومنه قول الأخطل لجرير

كنت القذى فى موج أكدر مزبد * قذف الأتىّ به فضل ضلالا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أئذا ضللنا فى الأرض يقول أئذا هلكنا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أئذا ضللنا فى الأرض هلكنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أئذا ضللنا فى الأرض يقول أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا يكفرون بالبعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد قال قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا وقوله بل هم بلقاء ربهم كافرون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء بل هم بلقاء ربهم كافرون حذرا لعقابه وخوف مجازاته اياهم على معصيتهم اياه فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم فى المعاد

القول فى تأويل قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله يتوفاكم ملك الموت يقول يستوفى عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ومنه قول الراجز

ان بنى الأدرم ليسوا من أحد * ولا توفاهم قريش فى العدد

ثم الى ربكم ترجعون يقول من بعد قبض ملك الموت أرواحكم الى ربكم يوم القيامة تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازى المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته حدثنا بشر قال ثنا يزيد

ثم بين أنهم معترفون بالمعبود الحق الا أنهم يشركون به وقدمر فى آخر العنكبوت مثله الا أنه قال فى آخره بل أكثرهم لا يعلمون وذلك أنه زاد هنالك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فان نفى العقل أبلغ من نفى العلم اذ كل عالم عاقل ولا ينعكس ثم ذكر أن الملك كله له وهو غنى على الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته أراد أن يبين أنه لا نهاية لعلمه فقال (ولو أن ما فى الارض) الآية عن ابن عباس أنها نزلت جوابا لليهود وان التوراة فيها كل الحكمة وقيل هى جواب قول المشركين ان الوحى سينفد وتقدير الآية على قراءة الرفع او ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر ويجوز أن تكون الجملة حالا واللام فى البحر للجنس وجعل جنس البحار ممدودا بالسبعة للتكثير لا للتقدير فان كثيرا من الاشياء عددها سبعة كالسيارات السبعة والأقاليم السبعة وأيام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معا واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء أراد الأكل الكثير وقال فى الكشاف جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوأة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع قلت جعله الأبحر سبعة تقديرا بينا فى قوله أبدا لا ينقطع وانما لم يجعل للاقلام مدادا لان نقصان المداد بالكتابة أظهر من نقصان القلم وانما لم يقل كلم الله على جمع الكثرة للمبالغة اذ يفهم منه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وقيل أراد بكلماته عجائب مصنوعاته الموجودة بكلمة كن وقدمر نظير هذه الآية فى آخر الكهف ثم بين أنه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد والاعدام فان تعلق قدرته بمقدور واحد كتعلقها

بمقدورات غير محصورة لان اقتداره لا يتوقف على آلة وعدة وانما ذلك له ذاتي يكفي فيه الارادة ثم أكد ذلك بأن سمعه يتعلق في زمان
واحد بكل المسموعات وكذا بصره بكل المبصرات من غير أن يشغله شيء عن شيء ثم أعاد طرفا من دلائل قدرته مع تذكير

قال ثنا سعيد عن قتادة قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم قال ملك الموت يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يتوفاكم ملك الموت قال حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد بنحوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد اذهم ناكسو رؤسهم عند ربهم حياء من ربهم للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا يقولون يا ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا فارجعنا يقول فارددنا الى الدنيا نعمل فيها بطاعتك وذلك العمل الصالح انا موقنون يقول انا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يعبد سواك ولا ينبغي أن يكون رب سواك وأنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء * وبنحو ما قلنا في قوله ناكسو رؤسهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم قال قد حزنوا واستحيوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لآتينا هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله هداها يعني رشدها وتوفيقها للايمان بالله ولكن حق القول مني يقول وجب العذاب مني لهم وقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني من أهل المعاصي والكفر بالله منهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال لو شاء الله لهدى الناس جميعا لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ولكن حق القول مني حق القول عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء المشركين بالله اذا هم دخلوا النار ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا انا نسيناكم يقول انا تركناكم اليوم في النار وقوله وذوقوا عذاب الخلد يقول يقال لهم أيضا ذوقوا عذابا تخلدون فيه الى غير نهاية بما كنتم في الدنيا تعملون من معاصي الله * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم قال نسوا من كل خير وأما الشر فلم ينسوا منه حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله انا نسيناكم يقول تركناكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا الا القوم الذين اذا ذكروا بها وعظوا خروا لله سجدا

بعض نعمه قائلا (ألم تر) وقدمر نظيره في الحج الى قوله الكبير وقوله ههنا (يجري الى أجل مسمى) وقوله في فاطر والزمر لاجل مسمى يؤل الى معنى واحد وان كان الطريق مغايرا لان الاول معناه انتهاؤهما الى وقت معلوم وهو للشمس آخر السنة وللقمر آخر الشهر وعن الحسن هو يوم القيامة لأن جريهما لا ينقطع الا وقتئذ والثاني معناه اختصاص الجري بادراك أجل معلوم كما وصفنا ووجه اختصاص هذا المقام بالى وغيره باللام أن هذه الآية صدرت بالتعجيب فناسب التطويل والمشار اليه بذلك هو ما وصف من عجيب قدرته أو أراد أن الموحى من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق قال بعضهم (العلي) اشارة الى كونه تماما وهو انه حصل له ما ينبغي أن يكون له و(الكبير) اشارة الى كونه فوق التمام وهو أنه يحصل لغيره ما يحتاج اليه ثم أكد الآية السماوية بالآية الارضية ومعنى بنعمته باحسانه ورحمته أو بالريح الطيبة التي هي بأمر الله (ان في ذلك) الاجراء (لآيات لكل صبار) على الضراء (شكور) في السراء ووجه المناسبة أن كلتا الحالتين قد يقع لراكب البحر أو صبار على النواهي والتروك شكور في الافعال والأوامر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر أن بعض الناس لا يخلص لله الا عند
الشدائد وانما وحد الموج وجمع الظلل وهي كل ما أظلك من جبل أو سحاب لان الموج الواحد يرى له صعود ونزول لوجوههم
كالجبال المتلاصقة وانما قال ههنا (فمنهم مقتصد) وقد قال فيما قبل اذا هم يشركون لانه ذكر ههنا الموج وعظمته ولا محالة يبقى لمثله أثر في الخيال

فيخفض شيأ من غلو الكفر والظلم و ينزجر بعض الانزجار و يلزمه أن يكون متوسطا فى الاخلاص أيضا الا غاليا فيه وقل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر والختار فى مقابلة

لوجوههم تذللا له واستكانة لعظمته واقرارا له بالعبودية (وسبحوا بحمد ربهم) يقول وسبحوا الله فى سجودهم بحمده فيبرؤنه مما يصفه أهل الكفر به و يضيفون اليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والانداد (وهم لا يستكبرون) يقول يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد اذا أقيمت الصلاة ذكر ذلك عن حجاج عن ابن جريج ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يقول تعالى ذكره تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع عن مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ولا ينامون يدعون ربهم خوفا وطمعا فى عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الله و يؤدون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه وتتجافى تتفاعل من الجفاء والجفاء النبو كما قال الراجز

وصاحبى ذات هباب دمشق * وابن ملاط متجاف أرفق

يعنى أن كرمها سجية عن ابن ملاط وانما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع فقال بعضهم هى الصلاة بين المغرب والعشاء وقال نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن أبى عروبة قال قال قتادة قال أنس فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك تتجافى جنوبهم * قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال يصلون ما بين هاتين الصلاتين حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا حفص بن غياث عن سعيد عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنى محمد بن خلف قال ثنا يزيد بن حيان قال ثنا الحرث بن وجيه الراسبى قال ثنا مالك بن دينار عن أنس ابن مالك أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء * وقال آخرون عنى بها (١) صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن طلحة عن عطاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال عن العتمة وذكر عن حجاج عن ابن جريج قال قال يحيى بن صيفى عن أبى سلمة قال العتمة * وقال آخرون لانتظار صلاة العتمة ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاويسى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك أن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت فى انتظار

(١) لعله صلاة العتمة يعنى العشاء كما تفيده الآثار بعد تأمل كتبه مصححه

الصبار لأن الختر لا يصدر الا من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله فى دفع المكروه والكفور طباق الشكور وحين بين الدلائل وعظ بالتقوى وخوف من هول يوم القيامة ومعنى (لا يجزى) لا يقضى كما مر فى أول البقرة وذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليلزم منه عدم الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ماجرت به العادة من أن الأب يتحمل الآلام عن ابنه ما أمكن والولد يتحمل الاهانة عن الاب ما أمكن فكأنه قال لا يجزى فيه (والد عن ولده) شيأ من الآلام (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) من أسباب الاهانة قال جار الله انما أوردت الجملة الثانية اسمية لاجل التوكيد وذلك أن الخطاب للمؤمنين فأراد حسم أطماعهم أن يشفعوا لآبائهم الكفرة وفى توسيط هو مزيد تأكيد وفى لفظ المولود دون أن يقول ولا ولد تأكيد آخر لان الولد يقع على ولد الولد أيضا بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكأنه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه وقيل انما أوردت الثانية اسمية لان الابن من شأنه أن يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزى شفقة لا وجوبا (ان وعد الله) بمجئ ذلك اليوم (حق) أو وعده بعدم جزاء الوالد عن الولد وبالعكس حق و(الغرور) بناء مبالغة وهو الشيطان أى لا ينبغى أن تغرنكم الدنيا بنفسها و يزينها فى أعينكم غار من الشيطان أو النفس الامارة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا قوله (ان الله عنده علم الساعة) الى آخرها وعن المنصور أنه همه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر

واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين و بخمسة اشهر و بغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تاويلها ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن

ماطلبت معرفته لا سبيل لك اليه قال فى التفسير الكبير ليس مقصود الآية أنه تعالى مختص بمعرفة هذه الامور فقط فانه يعلم الجوهر الفرد أين هو وكيف هو من أول يوم خلق العالم الى يوم النشور وانما المراد أنه تعالى حذر الناس من يوم القيامة كان لقائل أن يقول متى الساعة فذكر أن هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كائن لدليلين ذكرهما مرارا وهو انزال الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق الاجنة فى الارحام فان القادر على الابداء قادر على الاعادة بالاولى ثم انه كأنه قال أيها السائل ان لك شيأ أهم منها لا تعلمه فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم (ماذا تكسب غدا) مع أنه فعلك وزمانك ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة والسر فى اخفاء الساعة واخفاء وقت الموت بل مكانه هو انه ينافى التكليف كامر فى أول طه ولو علم المكلف مكان موته لأمن الموت اذا كان فى غيره والسر فى اخفاء الكسب فى غير الوقت الحاضر هو أن يكون المكلف أبدا مشغول السر بالله معتمدا عليه فى أسباب الرزق وغيره روى أن ملك الموت مرّ على سليمن عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمن أن يحمله على الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان نظرى اليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك قال جار الله جعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة كأنه قال انها لا تعرف وان أعملت حيلها وقرئ بأية أرض والأفصح عدم تأنيثه ﴿التأويل﴾ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة هى تسخير ما فى السموات وما فى الارض من الاجسام العلوية والسفلية

الصلاة التى تدعى العتمة * وقال آخرون عنى بها قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام الليل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقومون يصلون من الليل * وقال آخرون انما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وهم قوم لا يزالون يذكرون الله اما فى صلاة واما قياما واما قعودا واما اذا استيقظوا من منامهم هم قوم لا يزالون يذكرون الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى آخر الآية يقول تتجافى لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما فى الصلاة واما فى قيام أو فى قعود أو على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلا لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه انما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم فى وقت منام الناس المعروف وذلك الليل دون النهار وكذلك تصف العرب الرجل اذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه فى صفة نبى الله صلى الله عليه وسلم

يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره لم يخصص فى وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا ووقتا دون حال ووقت كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته واذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعضه أو ذكر الله فى ساعات الليل أو صلى العتمة ممن دخل فى ظاهر قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأن جنبه قد جفا عن مضجعه فى الحال التى قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا وهو على القيام أو القعود قادر غير أن الأمر وان كان كذلك فان توجيه الكلام الى أنه معنىّ به قيام الليل أعجب الىّ لأن ذلك أظهر معانيه والاغلب على ظاهر الكلام وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن حماد قال ثنا أبو أسامة عن سليمن عن حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا آدم قال ثنا سفيان قال ثنا منصور بن المعتمر عن الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أنبأتك بأبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا أبو كريب قال ثنا يزيد بن حيان عن حماد بن سلمة قال ثنا عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل حدثنا ابو همام الوليد ابن شجاع قال ثني أبي قال ثني زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القت عن مجاهد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وأما قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الآية فان بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين مما تقر به أعينهم في جناته يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الأحوص عن أبي اسحق (١) عن أبي عبيدة قال قال عبد الله ان في التوراة مكتوب بالقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وما لم يسمعه ملك مقرب قال ونحن نقرؤها فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين حدثنا خلاد قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود قال مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال خبئ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال سفيان فما علمت على غير وجه الشك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا عبيدة قال قال عبد الله قال يعني الله أعددت لعبادي الصالحين ما لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب ناظر لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن صلت عن قيس بن الربيع عن أبي اسحق عن عبيدة بن ربيعة الحارثي عن عبد الله ابن مسعود قال ان في التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وانه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين حدثنا أبو كريب قال ثنا الأشجعي عن ابن أبجر قال سمعت الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر ان موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أخس أهل الجنة فيها حظا فقيل له رجل يؤتى به

(١) الذي في الخلاصة أن أبا اسحق يروي عن عبيدة بن ربيعة فلعل زيادة أبي من الناسخ تأمل

البسيطة والمركبة وباطنة هي تسخير ما في سموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل والشكر وسائر المقامات القلبية والروحانية بأن يسر العيون عليها بالسكون المتدارك بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن مضارها وتسخير ما في أرض النفوس من أضداد الأخلاق المذكورة بتبديلها بالحميدة والتمتع بخواصها والتحرز عن آفاتها ثم نضطرهم لفساد استعدادهم تجري في البحر بنعمة الله سلامتهم في الظاهر معلومة وأما في الباطن فنجاتهم بسفائن العصمة من بحار القدرة أو بسفينة الشريعة بملابسة الطريقة في بحر الحقيقة لاراءة آيات شواهد الحق واذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير تمنوا أن تلفظهم نفحات الالطاف الى سواحل الأعطاف

﴿سورة الم السجدة حروفها ألف وخمسمائة وثمانية عشر كلماتها ثلثمائة وثمانون آياتها ثلاثون مكية الا قوله أفمن كان مؤمنا الى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم

ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا (٦٦) انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم
وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا يعملون
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين
فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا
أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل
لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم
به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى دون العذاب الاكبر
لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من
المجرمين منتقمون ولقد آتينا
موسى الكتاب فلا تكن فى مرية
من لقائه وجعلناه هدى لبنى
اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون
بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون فى مساكنهم ان
فى ذلك لآيات أفلا يسمعون
أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض
الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه
أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم
صادقين قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
فأعرض عنهم وانتظر إنهم
منتظرون ۞ القراآت خلقه بفتح
اللام عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وسهل الآخرون بالسكون على البدل من كل شئ وعلى الاول يكون قال
وصفاله أئذا أئنا كما فى الرعد ما أخفى بسكون الياء على أنه فعل مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على أنه فعل ماض مجهول لما صبروا

وقد دخل أهل الجنة الجنة قال فيقال له ادخل فيقول أين وقد أخذ الناس أخذاتهم فيقال اعدد
أربعة ملوك من ملوك الدنيا فيكون لك مثل الذى كان لهم ولك أخرى شهوة نفسك فيقول
أشتهى كذا وكذا وأشتهى كذا ويقال لك أخرى لك لذة عينك فيقول ألذ كذا وكذا فيقال لك
عشرة أضعاف مثل ذلك وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا فقال ذاك شئ ختمت عليه يوم
خلقت السموات والارض قال الشعبى فانها فى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء
بما كانوا يعملون حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحميدى قال ثنا ابن عيينة وحدثنى
به القرقسانى عن ابن عيينة عن مطرف بن طريف وابن أبجر سمعنا الشعبى يقول سمعت المغيرة
ابن شعبة على المنبر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى سأل ربه أى رب أىّ أهل الجنة
أدنى منزلة قال رجل يجئ بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف أدخل
وقد نزلوا منازلهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول بخ أى
رب قد رضيت فيقال له ان لك هذا ومثله ومثله ومثله فيقول رضيت أى رب رضيت فيقال له
ان لك هذا وعشرة أمثاله معه فيقول رضيت أى رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك
ولذت عينك قال فقال موسى أى رب وأىّ أهل الجنة أرفع منزلة قال اياها أردت وسأحدثك
عنهم غرست لهم كرامتى بيدى وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر قال ومصداق ذلك فى كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو بن أبى قيس عن
ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وكان عرشه على الماء
وكان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال
ومن دونهما جنتان قال وهى التى لا تعلم نفس أو قال هما التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين
جزاء بما كانوا يعملون قال وهى التى لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما
تحفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير بنحوه
حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبى اليمان
الهوزنى أو غيره قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة أرضها فضة ومساكنها فضة وآنيتها فضة
وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك
والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها لؤلؤ وآنيتها لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك
ما لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر وتلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من
قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى وعبد الرحيم عن محمد
ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم قال الله
فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية
وابن نمير عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة
ومن بله ما أطلعكم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون

بكسر اللام وتخفيف الميم حمزة وعلي و رويس الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اولم نهد بالنون يزيد عن يعقوب ۞ الوقوف الم ه كوفي
العالمين ه ط لان أم استفهام تقريع غير عاطفة بل هي منقطعة افتراه ج لعطف الجملتين المختلفتين يهتدون ه العرش ط

قال أبو هريرة تقرؤها قرات أعين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن عن
الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن
الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فينتقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة
وسع الله له في الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال قلت فأين ذهبت الحسنة قال
أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي
كانوا يوعدون قلت قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره الى الله
لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة عين حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا معلى بن
أسد قال ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه قال أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر حدثني أبو السائب قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو صخر أن
أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا
وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله جزاء بما كانوا يعملون حدثنا
ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يروي ذلك عن ربه قال ربكم أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو
عن الحسن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم
حدثني القاسم بن بشر قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن
أبي رافع عن أبي هريرة قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم
ولا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر واختلفت القراء في قراءة قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فقرأ ذلك بعض
المدنيين والبصريين وبعض الكوفيين أخفي بضم الألف وفتح الياء بمعنى فعل وقرأ بعض
الكوفيين أخفي لهم بضم الالف وارسال الياء بمعنى أفعل أخفي لهم أنا والصواب من القول
في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن الله اذا أخفاه فهو مخفي واذا أخفي فليس
له مخف غيره وما في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم فانها اذا جعلت بمعنى الذي كانت نصبا بوقوع
تعلم عليها كيف قرأ القارئ أخفي واذا وجهت الى معنى أي كانت رفعا اذا قرئ أخفي بنصب الياء
وضم الالف لانه لم يسم فاعله واذا قرئ أخفي بارسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفي عليها
۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا
أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره
أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده المخالف أمر الله ونهيه كهذا المؤمن بالله المصدق بوعده

شفيع ه تتذكرون ه ط تعدّون
ه الرحيم ط من طين ه ج لأن
ثم لترتيب الاخبار مهين ه ج
لذلك والافئدة ط تشكرون ه
جديد ه كافرون ه ترجعون ه
عند ربهم ط لحق القول المحذوف
موقنون ه أجمعين ه هذا ج
للابتداء بان مع تكرار وذوقوا
تعملون ه لايستكبرون ه
وطمعا ز لانقطاع النظم بتقديم
المفعول ينفقون ه أعين ج لأن
جزاء يحتمل أن يكون مفعولا له
وأن يكون مصدرا لفعل محذوف
يعملون ه فاسقا ط لانتهاء
الاستفهام الى الاخبار لايستوون
ه المأوى ز لمثل مامر في جزاء
يعملون ه النار ط تكذبون ه
يرجعون ه عنها ط منتقمون ه
اسرائيل ه ج وان اتفقت
الجملتان للعدول عن ضمير المفعول
الاول وهو واحد الى ضمير الجمع
في الثانية صبروا ط لمن شدد
يوقنون ه يختلفون ه مساكنهم
ط لآيات ط يسمعون ه
وأنفسهم ط يبصرون ه صادقين
ه ينظرون ه منتظرون ه
۞ التفسير لما ذكر في السورة
المتقدمة دلائل الواحدانية
ودلائل الحشر وهما الطرفان بدأ
في هذه السورة ببيان الامر
الاوسط وهو الرسالة المصححة
ببرهان القرآن واعرابه قريب من
قوله الم ذلك الكتاب ه ميل جار الله
الى أن قوله (تنزيل الكتاب) مبتدأ
خبره (من رب العالمين) ولاريب
فيه اعتراض لامحل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة أي لاريب في كونه منزلا من عنده ويمكن أن يقال في وجه النظم لما عرّف
في أول السورة المتقدمة أن القرآن هدى ورحمة قال ههنا انه من رب العالمين وذلك أن من عثر على كتاب سأل أولا أنه في أي علم فاذا قيل

انه فى الفقه أو التفسير سأل انه تصنيف اى شخص ففى تخصيص رب العالمين بالمقام اشارة الى أن كتاب رب العالمين لابد أن يكون فيه عجائب
للعالمين فترغب النفس فى مطالعته ثم أضرب (٦٨) عما ذكر قائلا (أم يقولون افتراه) وهو تعجيب من قولهم لظهور أمر القرآن
فى تعجيز بلغائهم عن مثل سورة
الكوثر ثم أضرب عن الانكار الى
اثبات أنه الحق من ربك ومعنى
(لتنذر قوما) قد مر فى القصص
ويندرج فيهم أهل الكتاب اذ
يصدق عليهم أنه لم يأتهم نذير بعد
ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه
وسلم ولو لم يندرجوا لم يضر فان
تخصيص قوم بالذكر لا يدل على
نفى من عداهم كقوله وأنذر
عشيرتك الأقربين وحين بين
الرسالة بين ما على الرسول من
الدعاء الى التوحيد فقال (الله) مبتدأ
خبره ما يتلوه وقد مر نظائره وقوله
(مالكم من دونه من ولى ولا شفيع
أفلا تتذكرون) اثبات للولاية
والشفاعة أى النصرة من عنده ونفى
لهما من غيره وفيه تجهيل لعبدة
الاصنام الزاعمين أنها شفعاؤهم بعد
اعترافهم بأن خالق الكل هو الله
سبحانه ولما بين الخلق شرع
فى الامر فقال (يدبر الأمر) أى
المأمور به من الطاعات والاعمال
الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى
الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل
فى يوم طويل وهو كناية عن قلة
الاخلاص لانه لا يوصف بالصعود
ولا يقوى على العروج الا العمل
الخالص يؤيد هذا التفسير قوله
فيما بعد قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر
الدنيا كلها من السماء الى الارض
لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة
ثم يصعد اليه مكتوبا فى الصحف
فى كل جزء من أجزاء ذلك اليوم الخ
ثم يدبر الأمر ليوم آخر مثله وهلم جرا
أو ينزل الوحى مع جبرائيل ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى و رده مع جبرائيل أيضا وتقدير الزمان بألف سنة لان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وأن الملك يقطعها فى يوم واحد من أيامنا وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر فان نفاذ الامر كلما كان
عن

و وعيد المطيع له فى أمره ونهيه كلا لا يستوون عند الله يقول لا يعتدل الكفار بالله والمؤمنون به
عنده فيما هو فاعل بهم يوم القيامة وقال لا يستوون فجمع وانما ذكر قبل ذلك اثنين مؤمنا وفاسقا
لانه لم يرد بالمؤمن مؤمنا واحدا وبالفاسق فاسقا واحدا وانما أريد به جميع الفساق وجميع المؤمنين
بالله فاذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع وذكر أن هذه الآية
نزلت فى على بن أبى طالب رضوان الله عليه والوليد بن عقبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت
بالمدينة فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بين الوليد وبين على كلام فقال
الوليد بن عقبة أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأرد منك للكتيبة فقال على اسكت فانك
فاسق فأنزل الله فيهما أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى قوله به تكذبون حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
قال لا والله ما استووا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة وقوله أما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى يقول تعالى ذكره أما الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم
الله ورسوله فلهم جنات المأوى يعنى بساتين المساكن التى يسكنونها فى الآخرة ويأوون اليها وقوله
نزلا بما كانوا يعملون يقول نزلا أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا فى الدنيا يعملون بطاعته وقوله
وأما الذين فسقوا يقول تعالى ذكره وأما الذين كفروا بالله وفارقوا طاعته فمأواهم النار يقول
فمساكنهم التى يأوون اليها فى الآخرة النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون أن الله أعدها لأهل الشرك به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وأما الذين فسقوا أشركوا وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون والقوم مكذبون
كافرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر
لعلهم يرجعون) اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء
الفسقة فقال بعضهم ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال ذكر من قال ذلك حدثنى على
قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى
يقول مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون قال العذاب الأدنى بلاء الدنيا قيل هى المصائب
حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى
عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصيبات فى الدنيا قال
والدخان قد مضى والبطشة واللزام * قال أبو موسى ترك يحيى بن سعيد يحيى بن الجزار نقصان رجل
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن قتادة عن
عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أنه قال فى هذه الآية
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال مصيبات الدنيا واللزوم والبطشة أو الدخان
شك شعبة فى البطشة أو الدخان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

عن قتادة عن عروة عن الحسن العرني عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب بنحوه الا أنه قال المصيبات واللزوم والبطشة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرني عن يحيى بن الجزار عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال المصيبات يصابون بها في الدنيا البطشة والدخان واللزوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصائب في الدنيا * قال ثنا أبو خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال المصيبات في دنياهم وأموالهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثه عن الحسن قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أي مصيبات الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال أشياء يصابون بها في الدنيا * وقال آخرون عني بها الحدود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر قال الحدود * وقال آخرون عني بها القتل بالسيف قال وقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدي عن مسروق عن عبد الله مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن الحسن بن علي أنه قال ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف صبرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى انما هو السيف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل والجوع لقريش في الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مجاهد يحدث عن أبي بن كعب أنه كان يقول ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر يوم بدر * وقال آخرون عني بذلك سنون أصابتهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * وقال آخرون عني بذلك عذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال الأدنى في القبور وعذاب الدنيا * وقال آخرون ذلك عذاب الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال العذاب الأدنى عذاب الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك أن يقال ان الله وعد هؤلاء الفسقة

في مدة أكثر كان حاله أعلى أي يدبر الامر في زمان يوم منه ألف سنة منه فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه فلا فرق على هذا بين ألف سنة و بين خمسين ألف سنة كما في المعارج وقيل ان هذه عبارة عن الشدة واستطالة أهلها اياها كالعادة في استطالة أيام الشدة والحزن واستقصار أيام الراحة والسرور وخصصت السورة بقوله ألف سنة موافقة لما قبله وهو قوله في ستة أيام وتلك الايام من جنس هذا اليوم وخصصت سورة المعارج بقوله خمسين ألف سنة لان فيها ذكر القيامة وأهوالها فكان هو اللائق بها وعن عكرمة ان اليوم في المعارج عبارة عن أول ايام الدنيا الى انقضائها وأنها خمسون ألف سنة لا يدري أحد كم مضى وكم بقي الا الله عز وجل و بالجملة فالآية المتقدمة تدل على عظمة عالم الخلق وسعة مكانه والآية الثانية تدل على عظمة عالم الامر وامتداد زمانه ثم بين أنه مع غاية عظمة ملكه وملكوته عليم بأمر العالمين فقال (ذلك عالم الغيب والشهادة) وفي قوله (العزيز الرحيم) اشارة الى صفتي القهر واللطف اللتين ينبغي أن تكونا لكل ملك وانما أخر الرحيم مع أن رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله (الذي أحسن كل شيء خلقه) نظيره الذي أعطى كل شيء خلقه وقد مر في طه وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو آدم بدليل قوله (ثم جعل نسله) أي ذريته لأنها تنسل أي تنفصل والسلالة الخلاصة كما ذكرنا في أول المؤمنين وقوله (من ماء) بدل من سلالة والمهين الحقير ومعنى (سواه) قومه وأداره في الاطوار الى حيث صلح لنفخ الروح فيه ثم عدل من الغيبة الى الخطاب في قوله (وجعل لكم) تنبيها على جسامة نعم هذه الجوارح وتوبيخا على قلة الشكر عليها ثم بين عدم شكرهم بانكارهم المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى وليست الثانية بأصعب منها والواو للعطف على ما سبق كأنهم قالوا ان محمدا مفتر وقالوا الله ليس بواحد (وقالوا أئذا) يعني أنهم وأسلافهم زعموا أن الحشر

غيرممكن ومعنى (ضللنافى الارض) غبنافيها اما بالدفن أو بتفرق الاجزاء وتلاشيها والعامل فى أئذا مايدل عليه قوله أئنالفى خلق جديد وهو
نبعث أو يجدد خلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق واللقاء لقاء الجزاء الشامل لجميع أحوال الآخرة ثم ردّ عليهم قولهم

بالفوت بأنه يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح ثم يرجعون الى حكم الله وحده ثم بين مايكون من حالهم عند الرجوع بقوله (ولو ترى) أنت يا محمد أو كل من له أهلية الخطاب (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) خجلا وندامة قائلين (ربنا أبصرنا) ما كنا شاكين فى وقوعه (وسمعنا) منك تصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرأيت أمرا فظيعا وجوزوا أن يكون لو للتمنى كأنه جعل لنبيه تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الذل والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه ألزمهم وألجمهم بقوله (ولو شئنا) الآية وفيه أنه لو ردّهم الى الدنيا لم يهتدوا لأنهم خلقوا لجهنم القهر وقد مر نظيره فى آخر هود ثم أكد ما تهم بقوله (فذوقوا) وانتصب هذا على أنه مفعول فذوقوا وقوله (لقاء) مفعول نسيت أى ذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم وذهلتم عنه بعد وضوح الدلائل أو تركتم الفكر فيه ويجوز أن يكون هذا صفة يومكم ومفعول ذوقوا محذوف وهو العذاب ولقاء مفعول نسيتم أو هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف أى تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول أو محذوفه وهو الفكر فى العاقبة وقوله (انا نسيناكم) من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم وقوله (عذاب الخلد) من باب اضافة الموصوف الى الصفة فى الظاهر نحو رجل صدق أمرهم على سبيل الاهانة بذوق عذاب الخزى والخجل ثم بذوق العذاب الخلد أعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر أن فى الايمان بآيات الله من شأن الخلص من عباده الساجدين لله شكرا وتواضعا حين وعظوا بآيات ربهم منزهين له عما لا يليق بجنابه وجلاله

المكذبين بوعيده فى الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر والعذاب هو ما كان فى الدنيا من بلاء أصابهم اما شدة من مجاعة أو قتل أو مصائب يصابون بها فكل ذلك من العذاب الأدنى ولم يخصص الله تعالى ذكره اذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع وقد عذبهم بكل ذلك فى الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب فى الأموال فأوفى لهم بما وعدهم وقوله دون العذاب الأكبر يقول قبل العذاب الأكبر وذلك عذاب يوم القيامة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله دون العذاب الاكبر قال يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة فى الآخرة حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة دون العذاب الاكبر يوم القيامة حدث به قتادة عن الحسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله دون العذاب الأكبر قال العذاب الأكبر عذاب الآخرة وقوله لعلهم يرجعون يقول كى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون قال يتوبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية لعلهم يرجعون قال يتوبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أى يتوبون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون﴾ يقول تعالى ذكره وأىّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه وآى كتابه ورسله ثم أعرض عن ذلك كله فلم يتعظ بمواعظه ولكنه استكبر عنها وقوله انا من المجرمين منتقمون يقول انا من الذين اكتسبوا الآثام واجترحوا السيآت منتقمون وكان بعضهم يقول عنى بالمجرمين فى هذا الموضع أهل القدر ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان بن معاوية قال أخبرنا وائل ابن داود عن مروان بن سفيح عن يزيد بن رفيع قال ان قول الله فى القرآن انا من المجرمين منتقمون هم أصحاب القدر ثم قرأ ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان قال أخبرنا وائل بن داود عن ابن سفيح عن يزيد بن رفيع بنحوه الا أنه قال فى حديثه ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ان المجرمين فى ضلال وسعر الى آخر الآيات * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا محمد بن المبارك قال ثنا اسمعيل ابن عياش قال ثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسىّ عن جنادة بن أبى أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من اعتقد لواء فى غير حق أو عق والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله انا من المجرمين منتقمون ﴿ القول

متلبسين بحمده غير مستكبرين عن عبادته (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ترتفع وتتنحى عن مواضع النوم داعين ربهم أو عابدين له (خوفا) من أليم عقابه (وطمعا) في عظيم ثوابه وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وهو التهجد قال اذا جمع الله الاولين

في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك الفرقان يا محمد فلا تكن في مرية من لقائه يقول فلا تكن في شك من لقائه فكان قتادة يقول معنى ذلك فلا تكن في شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة أسري بك وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية الرياحي قال حدثنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به وقوله وجعلناه هدى لبني اسرائيل يقول تعالى ذكره وجعلنا موسى هدى لبني اسرائيل يعني رشادا لهم يرشدون باتباعه ويصيبون الحق بالاقتداء به والائتمام بقوله * وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل الله موسى هدى لبني اسرائيل وقوله وجعلنا منهم أئمة يقول تعالى ذكره وجعلنا من بني اسرائيل أئمة وهي جمع امام والامام الذي يؤتم به في خير أو شر وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير يؤتم بهم ويهتدى بهديهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا قال رؤساء في الخير وقوله يهدون بأمرنا يقول تعالى ذكره يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم باذننا لهم بذلك وتقويتنا اياهم عليه وقوله لما صبروا اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة لما صبروا بفتح اللام وتشديد الميم بمعنى اذ صبروا وحين صبروا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لما بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى لصبرهم عن الدنيا وشهواتها واجتهادهم في طاعتنا والعمل بأمرنا وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود بما صبروا وما اذا كسرت اللام من لما في موضع خفض واذا فتحت اللام وشددت الميم فلا موضع لها لانها حينئذ أداة والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام اذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم باذننا اياهم وتقويتنا اياهم على الهداية اذ صبروا على طاعتنا وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها واذا قرئ بكسر اللام (١) على ما قد وصفنا وقد حدثنا ابن وكيع قال قال أبي سمعنا في وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قال عن الدنيا وقوله وكانوا بآياتنا يوقنون يقول وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق وايمان برسلنا وآيات كتابنا وتنزيلنا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب وغير ذلك من أسباب دينهم فيفرق بينهم بقضاء فاصل بايجابه لأهل الحق الجنة ولأهل الباطل النار

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ يقول

(١) لعله فيكون على الخ تأمل كتبه مصححه

والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع ينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس عن علي رضي الله عنه

جنبي تجافى عن الوساد
خوفا من النار والمعاد
من خاف من سكرة المنايا
لم يدر ما لذة الرقاد
قد بلغ الزرع منتهاه
لا بد للزرع من حصاد

عن أنس بن مالك كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها وما في قوله (ما أخفي) موصولة ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أي شئ والمعنى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك مما تقر به عيونهم حتى لا تطمح الى غيره ولا تطلب الفرح بما عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت قال المحققون انه يصدر من العبد أعمال صالحة وقد صدر عن الرب أشياء سابقة من الخلق والتربية وغيرهما وأشياء لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى أن يقول أنا أحسنت أولا

تعالى ذكره أولم يبين لهم كما حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولم يهد لهم يقول أولم يبين لهم وعلى القراءة بالياء فى ذلك قراء الامصار وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء بمعنى أولم يبين لهم اهلاكنا القرون الخالية من قبلهم سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا فيتعظوا و ينزجروا وقوله كم اذا قرئ يهد بالياء فى موضع رفع بيهد وأما اذا قرئ ذلك بالنون أولم نهد فان موضع كم وما بعدها نصب وقوله يمشون فى مساكنهم يقول تعالى ذكره أولم يبين لهم كثرة اهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم كعاد وثمود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون عاد وثمود وأنهم اليهم لا يرجعون وقوله ان فى ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فى خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا اسكانها وعمارها باهلاكنا اياهم لما كذبوا رسلنا وجحدوا بآياتنا وعبدوا من دون الله آلهة غيره التى يمرون بها فيعاينونها لآيات لهم وعظات يتعظون بها لو كانوا أولى حجا وعقول يقول الله أفلا يسمعون عظات الله وتذكيره اياهم آياته وتعريفهم مواضع حججه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يرهؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء أنا بقدرتنا نسوق الماء الى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها وأصله من قولهم ناقة جرز اذا كانت تأكل كل شئ وكذلك الارض الجروز التى لا يبقى على ظهرها شئ الا أفسدته نظير أكل الناقة الجراز كل ما وجدته ومنه قولهم للانسان الاكول جروز كما قال الراجز ۞ خب جروز واذا ۞ ومنه قيل للسيف اذا كان لا يبقى شيأ الا قطعه سيف جراز وفيه لغات أربع أرض جرز وجرز وجرز وجرز والفتح لبنى تميم فيما بلغنى ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس الارض الجرز أرض باليمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال أرض باليمن ۞ قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز قال أبين ونحوها حدثني زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الرزاق بن عمر عن ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال ونحوها من الارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن رجل عن ابن عباس فى قوله الى الارض الجرز قال الجرز التى لا تمطر الا مطرا لا يغنى عنها شيأ الا ما يأتيها من السيول حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك الى الارض الجرز ليس فيها نبت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز المغبرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز قال الارض الجرز التى ليس فيها شئ ليس فيها نبات وفى قوله صعيدا جرزا

والعبد أحسن فى مقابلته فالثواب تفضل من غير عوض وله أن يقول الذى فعلته أولا تفضل فاذا أتى العبد بالعمل الصالح جزيته خيرا لان جزاء الاحسان احسان وهذا الاعتبار الثانى أليق بالكرم ليذيق العبد لذة الاجر والكسب والاعتبار الاول أليق بالعبودية حتى يرى الفضل لله فى جانب الأبد فاذن لا تنقطع المعاملة بين الله و بين العبد أبدا وتكون العبادة لهم فى الآخرة بمنزلة التنفس كما للملائكة يروى أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى فيهما خاصة وفى أمثالهما من الفريقين عامة (أفمن كان مؤمنا) الى آخر ثلاث آيات أو أربع ومن أول الآية محمول على اللفظ وفى قوله (لا يستوون) محمول على المعنى ثم فصل عدم استوائهما بقوله أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا وجنات المأوى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم هى عن يمين العرش وفى لام التمليك فى (لهم) مزيد تشريف وايذان بأنهم لا يخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا لو قيل هذه الدار لزيد يفهم منه الملكية بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة وانه تعالى قال لابينا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لانه كان فى علمه أنه يخرج منها وانما قيل ههنا عذاب النار الذى كنتم به وفى سبا عذاب النار التى كنتم بها لأن النار فى هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف فوصف العذاب وفى سبا لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار وتكذيبهم العذاب هو أنهم كانوا يقولون فى الدنيا انه لا عذاب فى الآخرة ويحتمل أن يراد بالتكذيب أنهم يقولون فى الآخرة أول ما تأخذهم النار انه لا عذاب فوق ما نحن فيه فاذا زاد الله لهم ألما على ألم وهو قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) صاروا كاذبين فيما زعموا

جرزا قال ليس عليها شئ وليس فيها نبات ولا شئ فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم يقول تعالى ذكره فنخرج بذلك الماء الذى نسوقه اليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا تأكل منه مواشيهم وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به أفلا يبصرون يقول تعالى ذكره أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التى بها فعلت ذلك لا يتعذر على أن أحيى بها الأموات وأنشرهم من قبورهم وأعيدهم بهيآتهم التى كانوا بها قبل وفاتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون﴾ يقول تعالى ذكره ويقولون هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك متى هذا الفتح واختلف فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ومتى يكون هذا الثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال قال أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه فقال المشركون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ۞ وقال آخرون بل عنى بذلك فتح مكة ۞ والصواب من القول فى ذلك قول من قال معناه ويقولون متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم يعنون العذاب يدل على أن ذلك معناه قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ولو كان معنى قوله متى هذا الفتح على ما قاله من قال يعنى به فتح مكة لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالايمان به وبرسوله فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه وقوله ان كنتم صادقين يعنى ان كنتم صادقين فى الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم وعبادتنا الآلهة والأوثان وقوله قل يوم الفتح يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم يوم الحكم ومجىء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبآياته ايمانهم الذى يحدثونه فى ذلك الوقت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم قال يوم الفتح اذا جاء العذاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الفتح يوم القيامة ونصب اليوم فى قوله قل يوم الفتح ردا على متى وذلك أن متى فى موضع نصب ومعنى الكلام أنى حين هذا الفتح ان كنتم صادقين ثم قيل يوم كذا وبه قرأ القراء وقوله ولاهم ينظرون يقول ولاهم يؤخرون للتوبة والمراجعة وقوله فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله القائلين لك متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب وانتظر ما الله صانع بهم انهم منتظرون يقول ان المشركين منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجىء الساعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يعنى يوم القيامة

آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

أنه لا عذاب أزيد مما هم فيه وعلى هذا يمكن أن يراد بالخروج منها والاعادة فيها هو أن أبدانهم تألف النار وتتعودها فيقل الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول فيزيد تألمهم ومن هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة حمى الدق أقل من الاحساس بحرارة الحمى البلغمية مع أن نسبة الدق الى الثانية نسبة النار الى الماء المسخن ونظيره أن الانسان يضع يده فى الماء البارد فيتألم أولا ثم اذا صبر زمانا طويلا زال ذلك الالم وذلك لبطلان حسه ثم ختم على نفسه أنه يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والأسر والقحط قبل أن يصلوا الى عذاب الآخرة وعن مجاهد أن الأدنى هو عذاب القبر وانما لم يقل الأصغر فى مقابلة الأكبر أو الأبعد الأقصى فى مقابلة الأدنى لان الغرض هو التخويف والتهديد وذلك انما يحصل بالقرب لا بالصغر والكبر ولا بالبعد ومعنى قوله (لعلهم يرجعون) والترجى على الله محال لنذيقهم اذاقة الراجين رجوعهم عن الكفر والمعاصى كقوله انا نسيناكم أى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه أصلا أى نذيقهم على الوجه الذى يفعل الراجى من التدريج أو نذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه قال فى التفسير الكبير ان الرجاء فى أكثر الامر يستعمل فيما لا تكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون أنه لا يجوز اطلاقه فى حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة انما يحصل فى حقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزم منه الرجوع لزوما بينا قلت هذا يرجع الى التأويل الاول فان الكلام فى تعذيب الله هل هو يستدعى الرجوع على سبيل الرجاء أملا وكون مطلق التعذيب مستدعيا لذلك لا يكفى للسائل وقالت المعتزلة لعل من الله ارادة وارادة الله فعل المختار لا تقدح فى اقتدار الله اذا لم يختر المختار مراد الله كما أنهم لم يختاروا التوبة والرجوع عن الكفر والالم

يكونوا اذا تقين العذاب الاكبر وانما يقدح في اقتداره اذا تعلقت ارادته بفعل نفسه أو بفعل المضطر المقسور ثم لا يوجد ذلك الفعل
وجوز في الكشاف أن يراد لعلهم يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا كما سميت ارادة الرجوع رجوعا

﴿ تفسير سورة الاحزاب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اتق الله بطاعته وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك والانتهاء عن محارمه وانتهاك حدوده ولا تطع الكافرين الذين يقولون لك اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك والمنافقين الذين يظهرون لك الايمان بالله والنصيحة لك وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا فلا تقبل منهم رأيا ولا تستشرهم مستنصحا بهم فانهم لك أعداء ان الله كان عليما حكيما يقول ان الله ذو علم بما تضمره نفوسهم وما الذي يقصدون في اظهارهم لك النصيحة مع الذي ينطوون لك عليه حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك وغير ذلك من تدبير جميع خلقه واتبع ما يوحى اليك من ربك يقول واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه وآي كتابه ان الله كان بما تعملون خبيرا يقول ان الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أي ذا خبرة لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واتبع ما يوحى اليك من ربك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع ما يوحى اليك من ربك أي هذا القرآن ان الله كان بما تعملون خبيرا القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره وفوض الى الله يا محمد أمرك وثق به وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فقال بعضهم عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن نفيل قال ثنا زهير بن معاوية عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه انه له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه * وقال آخرون بل عنى بذلك رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال كان رجل من قريش يسمى من دهيه ذا القلبين فأنزل الله هذا في شأنه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال ان

كما سميت ارادة القيام قياما في قوله اذا قمتم الى الصلاة ثم بين أنهم اذا ذكروا بالدلائل من النعم أولا والنقم ثانيا وهو العذاب الأدنى ثم لم يؤمنوا فلا أحد أظلم منهم ومعنى (ثم) أنه ذكر مرات ثم بالآخرة (أعرض عنها) والفاء في سورة الكهف تدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال أهل المعاني ثم ههنا تدل على أن الاعراض بعد التذكير مستبعد في العقول قال المحققون الذي لا يحتاج في معرفة الله الا الى الله عدل كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد كما قال بعضهم ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله والذي يحتاج في ذلك الى دلائل الآفاق والانفس متوسط والذي يقر عند الشدة ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذي يبقى على الجحود والاعراض وان عذب فلا أظلم منه وحين جعله أظلم كل ظالم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اصابة الأظلم منهم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال انا منهم منتقمون لم يكن بهذه الحيثية في الافادة ثم عاد الى تأكيد أصل الرسالة مع تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) قال جار الله اللام للجنس ليشمل التوراة والفرقان والضمير في لقائه للكتاب أي آتينا موسى مثل ما آتيناك ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك
من أنك لقيت مثله واللقاء بمعنى التلقين والاعطاء كقوله وانك لتلقى القرآن وقيل الضمير في لقائه لموسى أي من لقائك رجلا
موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى الكتاب وهو تلقيه له بالرضا والقبول والضمير في جعلناه للكتاب على أنه منزل على موسى

رجلا من بني فهر قال ان في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد «وكذب»
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال
قتادة كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين فأنزل الله فيه ما تسمعون
* قال قتادة وكان الحسن يقول كان رجل يقول لي نفس تأمرني ونفس تنهاني فأنزل الله فيه
ما تسمعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة قال كان رجل
يسمى ذا القلبين فنزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه * وقال آخرون بل عني بذلك زيد
ابن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه فضرب الله بذلك مثلا ذكر من
قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب الله له مثلا
يقول ليس ابن رجل آخر ابنك * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك تكذيب
من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما على النحو الذي روي عن ابن عباس
وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأن يكون
تكذيبا لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه وأي الامرين كان فهو نفي من الله
عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة وقوله وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن
أمهاتكم يقول تعالى ذكره ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهن أنتن علينا كظهور
أمهاتنا أمهاتكم بل جعل ذلك من قيلكم كذبا وألزمكم عقوبة لكم كفارة * وبنحو الذي قلنا
في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم أي ما جعلها أمك فاذا ظاهر الرجل
من امرأته فان الله لم يجعلها أمه ولكن جعل فيها الكفارة وقوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم يقول
ولم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك وهو ابن غيرك ابنك بدعواك وذكر أن ذلك نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أدعياءكم أبناءكم قال نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم قال كان زيد
ابن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه يقال له زيد ابن محمد كان تبناه فقال الله ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم قال وهو يذكر الازواج والاخت فأخبره أن الازواج لم تكن بالامهات أمهاتكم ولا
أدعياءكم أبناءكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما جعل أدعياءكم
أبناءكم وما جعل دعيك ابنك يقول اذا ادّعى رجل رجلا وليس بابنه ذلكم قولكم بأفواهكم الآية
وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من ادّعى الى غير أبيه متعمدا حرم الله عليه الجنة
حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن أشعث عن عامر قال ليس في الأدعياء زيد وقوله
ذلكم قولكم بأفواهكم يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي
ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي
ادعيت بنوته ولا تصير الزوجة أمّا بقول الرجل لها أنت علي كظهر أمي والله يقول الحق يقول والله هو

واستدل به على أن الله تعالى جعل التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ثم حكى ان منهم من اهتدى حتى صار
من أئمة الهدى وذلك حين صبروا أو لصبرهم على متاعب التكليف ومشاق الدعاء الى الدين بعيدا يقانهم به وفيه أن الله تعالى
سيجعل الكتاب المنزل على نبينا
أيضا سبب الاهتداء والهداية
وكان كما أخبر ومثله اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم علماء أمتي
كأنبياء بني اسرائيل ولا يخفى أن
من التبعيضية في قوله (وجعلنا
منهم) كانت تدل على أن بعضهم
ليسوا أئمة الهدى وفيه رمز الى أن
بعضهم كانوا أئمة الضلال فلذلك
قال (ان ربك هو يفصل بينهم)
الآية وفيه اشارة الى أنه سبحانه
سيميز المحق في كل دين من المبطل
ثم أعاد أصل التوحيد مقرونا
بالوعيد قائلا (أولم يهد لهم) وقد مر
نظيره في آخر طه وانما قال في آخر
الآية (ان في ذلك لآيات) على
الجمع ليناسب القرون والمساكن
وانما قال (أفلا يسمعون) لانه تقدم
ذكر الكتاب وهو مسموع وفيه
اشارة الى أنه لا حظ لهم منه الا
السماع وحين ذكر الاهلاك
والتخريب أتبعه ذكر الاحياء
والعمارة ومعنى (نسوق الماء) نسوق
السحاب وفيه المطر (الى الارض
الجرز) وهي التي جز نباتها أي
قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي
وأزيل قال جار الله ولا يقال للتي
لا تنبت كالسباخ جرز بدلالة قوله
(فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس
أنها أرض اليمن والضمير في به للماء
وانما قدم الانعام ههنا على الانفس
لان الزرع لا يصلح أوله الا للانعام
وانما يحدث الحب في آخر أمره
قال في طه كلوا وارعوا أنعامكم لان
الازواج من النبات أعم من الزرع
وكثير منه يصلح للانسان في أول ظهوره مع أن الخطاب لهم فناسب أن يقدموا وانما ختم الآية بقوله (أفلا يبصرون) تأكيدا لقوله في أول
الآية أولم يروا ثم حكى نوع جهالة أخرى عنهم وهو استعجالهم العذاب قال المفسرون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين

أي ينصرنا عليهم و يفتح بيننا و بينهم أي يفصل فاستعجل المشركون ذلك و يوم الفتح يوم القيامة فحينئذ تنفتح أبواب الامور المبهمة أو يوم بدر أو يوم فتح مكة قاله مجاهد والحسن

فان قلت كيف ينطبق قوله قل يوم الفتح الخ جوابا عن سؤالهم عن وقت الفتح فالجواب أنهم سألوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لا تستهزؤا فكأنا بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح بيوم بدر أو بيوم فتح مكة فالمراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل والا فقد نفع الايمان الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم وانتظار النصرة عليهم حين علم أنه لا طريق معهم الا القتال نظيره قوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ⦿ التأويل الالف المحبون لقربي والعارفون بتمجيدي فلا يصبرون عني ولا يستأنسون بغيري اللام الاحباء لي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على وثاقي أم قصروا في وفائي الميم تركت أوليائي مرادهم لمرادي فلذلك اخترتهم على جميع عبادي تنزيل الكتاب أعز الاشياء على الاحباب كتاب الاحباب أنزله رب العالمين لاهل الظاهر على ظاهرهم ولاهل الباطن في باطنهم فاستناروا بنوره وتكلموا بالحق عن الحق للحق فلم يفهمه أهل الغرة والغفلة فقالوا افتراه خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر في ستة أجناس هي الجماد والمعدن والنبات والحيوان والشيطان والملك ثم استوى على العرش الخفي وهو لطيفة ربانية قابلة للفيض الرباني بلا واسطة أفلا تتذكرون كيف خلقكم في أطوار مختلفة يدبر الامر من سماء الروح الى أرض النفس والبدن ثم يعرج اليه النفس المخاطبة بخطاب ارجعي الى ربك في يوم طلعت فيه شمس صدق الطلب وأشرقت الارض بنور جذبات الحق كان مقداره في العروج بالجذبة كألف سنة في

الصادق الذي يقول الحق و بقوله يثبت نسب من أثبت نسبه و به تكون المرأة للولود أما اذا حكم بذلك وهو يهدي السبيل يقول تعالى ذكره والله يبين لعباده سبيل الحق و يرشدهم لطريق الرشاد ⦿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول الله تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ولا تدعه زيد ابن محمد وقوله هو أقسط عند الله يقول دعاؤكم اياهم لآبائهم هو أعدل عند الله وأصدق وأصوب من دعائكم اياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم الى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أي أعدل عند الله وقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم يقول تعالى ذكره فان أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم اليهم ولم تعرفوهم فتلحقوهم بهم فاخوانكم في الدين يقول فهم اخوانكم في الدين ان كانوا من أهل ملتكم ومواليكم ان كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أي أعدل عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فان لم تعلموا من أبوه فانما هو أخوك ومولاك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكرة قال الله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فأنا ممن لا يعرف أبوه وأنا من اخوانكم في الدين قال قال أبي والله اني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى اليه وقوله وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه الى أبيه وأنتم ترونه ابن من تنسبونه اليه وهو ابن لغيره ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول ولكن الاثم والحرج عليكم في نسبتكموه الى غير أبيه وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه اليه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول اذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول الله لا تدعه لغير أبيه متعمدا أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تعمدت قلوبكم قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره وما التي في قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم خفض ردا على ما التي في قوله فيما أخطأتم به وذلك أن معنى الكلام ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن فيما تعمدت قلوبكم وقوله وكان الله غفورا رحيما يقول الله تعالى ذكره وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته فقال الباطل والزور من القول وذنب من ادعى ولد غيره ابناله اذا تابا وراجعا أمر الله وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما ⦿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض

مما تعدون من أيامكم في السير من غير جذبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين و بدأ خلق الانسان
من طين وخمره بيده في أربعين صباحا فأودع في كل صباح خاصية نوع من أنواع عالم الشهادة ثم جعل نسله من سلالة

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب
مسطورا} يقول تعالى ذكره النبي محمد أولى بالمؤمنين يقول أحق بالمؤمنين به من أنفسهم أن يحكم
فيهم بما يشاء من حكم فيجوز ذلك عليهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز كما كلما قضيت
على عبدك جاز حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
قال هو أب لهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن علي عن
عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى
الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأيما مؤمن ترك مالا
فلورثته وعصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني وأنا مولاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا
حسن بن علي عن أبي موسى اسرائيل بن موسى قال قرأ الحسن هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أولى بكل مؤمن من
نفسه قال الحسن وفي القراءة الاولى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم
وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل ترك ضياعا فأنا أولى به وان ترك مالا فهو لورثته
وقوله وأزواجه أمهاتهم يقول وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن
من بعد وفاته كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم يعظم بذلك حقهن وفي بعض القراءة وهو أب لهم حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأزواجه أمهاتهم محرمات عليهم وقوله وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين يقول تعالى ذكره وأولوا الارحام الذين ورثت
بعضهم من بعض هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا بالهجرة
والايمان دون الرحم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من
المؤمنين والمهاجرين لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين
شيأ فأنزل الله هذه الآية فخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملل حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد
آخى بين المهاجرين والانصار أول ما كانت الهجرة وكانوا يتوارثون على ذلك وقال الله ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قال اذا لم يأت
رحم لهذا يحول دونهم قال فكان هذا أولا فقال الله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن
توصوا لهم كان ذلك في الكتاب مسطورا أن أولي الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال

سلها من أجناس عالم الشهادة
ثم سواه شخص انسان جديد المرآة
ونفخ فيه من روحه فصار مرآة
قابلة لاراءة صفات جماله وجلاله
ثم تجلى فيها بتجلية صفة السمعية
والبصرية والعالمية التي مرآتها
السمع والابصار والافئدة ضللنا
في أرض البشرية يتوفاكم ملك
الموت وهو المحبة الالهية بقبض
الارواح من صفات الانسانية
ويميتها عن محبوباتها بجذبة ارجعي
ناكسو رؤسهم بالتوجه الى
حضيض عالم الطبيعة كالأنعام
بعد أن كانوا رافعي الرؤس يوم الميثاق
تتجافى جنوب همتهم عن مضاجع
الدارين جنات المأوى التي هي
مأوى الابرار تكون نزلا للفقر بين
السائرين الى الله كنتم به تكذبون
لأنه لم يكن لكم به شعور في الدنيا
لانكم كنتم في نوم الغفلة والاشتغال
بالمحسوسات العذاب الأدنى اذا
وقعت للسالك فترة ووقفة لعجب
تداخله أو لملالة وسآمة ابتلاه الله
ببلاء في نفسه أو ماله أو مصيبة
في أهاليه وأقربائه وأحبابه لعله
ينتبه من نوم الغفلة ويدارك أيام
العطلة قبل أن يذيقه العذاب الاكبر
في الخذلان والهجران فلا تك
في مرية من لقائه أي من أنه يرى
الرب ببركة متابعتك حين قال اللهم
اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه
وسلم فان الرؤية مخصوصة بك
وبتبعتك لامتك ويحتمل أن يكون
الخطاب في فلا تك لموسى القلب
والضمير في لقائه لله وجعلناه موسى
القلب هدى لبني اسرائيل صفات القلب وجعلناهم أئمة هم السر الخفي ان ربك هو يفصل بينهم الآية لانهم عنده أعز من أن يجعل حكمهم
الى أحد من المخلوقين ولانه أعلم بحالهم من غيرهم ولئلا يطلع على أحوالهم غيره لأنه خالقهم للمحبة والرحمة فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضا

لانه عفو يفيض العفو والجود فتحيا به القلوب الميتة فيسق حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من معهودها فتخرج به زرعا من الواردات التى تصلح لتربية النفوس (٧٨) وهى الانعام ومن المشاهدات التى تصلح لتغذية القلوب ويقول المنكرون لهذه الطائفة متى هذا الفتح أى الفتوح التى تدعونها قل لا ينفعكم ذلك اذلم تقتدوا بهم ولم تهتدوا بهاديهم فأعرض عنهم أيها الطالب بالاقبال علينا وبالله التوفيق

﴿سورة الاحزاب مدنية حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون كلمها ألف ومائتان وثمانون آياتها ثلاث وسبعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا أليما يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون﴾ لهم

وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون ان كانوا أولى رحم حتى يهاجروا الى المدينة وقرأ قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير فكانوا لا يتوارثون حتى اذا كان عام الفتح انقطعت الهجرة وكثر الاسلام وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذى كان عليه النبى ومن معه الا أن يهاجر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث اغدوا على اسم الله لا تغلوا ولا تولوا ادعوهم الى الاسلام فان أجابوكم فاقبلوا وادعوهم الى الهجرة فان هاجروا معكم فلهم مالكم وعليهم ما عليكم فان أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقروهم فيها فهم كالأعراب تجرى عليهم أحكام الاسلام وليس لهم فى هذا الفئ نصيب قال فلما جاء الفتح وانقطعت الهجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وكثر الاسلام وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ونسخ ذلك الذى كان بين المؤمنين والمهاجرين وكان لهم فى الفئ نصيب وان أقاموا وأبوا وكان حقهم فى الاسلام واحدا المهاجر وغير المهاجر والبدوى وكل أحد حين جاء الفتح فمعنى الكلام على هذا التأويل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الارحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث ممن لم يؤمن ولم يهاجر وقوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك الا أن توصوا لذوى قراباتكم من غير أهل الايمان والهجرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال يوصى لقرابته من أهل الشرك * قال ثنا عبدة قال قرأت على ابن أبى عروبة عن قتادة الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال للقرابة من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال الى أوليائكم من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيرى ويحيى بن آدم عن ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة الى أوليائكم معروفا قال وصية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى محمد بن عمرو عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا فقال العطاء فقلت له المؤمن للكافر بينهما قرابة قال نعم عطاؤه اياه حباء ووصية له * وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الايمان والهجرة والحلف فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال حلفاؤكم الذين والى بينهم النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجر والانصار امساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم * وقال آخرون بل معنى ذلك أن توصوا الى أوليائكم من المهاجرين وصية ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لهم * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال معنى ذلك الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والانصار معروفا من الوصية

لهم والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك لان كل ذلك من المعروف الذى قدحث الله عليه عباده وانما اخترت هـذا القول وقلت هو أولى بالصواب من قيل من قال عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك لان القريب من المشرك وان كان ذا نسب فليس بالمولى وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء وموضع أن من قوله الا أن تفعلوا نصب على الاستثناء ومعنى الكلام وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا وقوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا يقول كان أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى اللوح المحفوظ مسطورا أى مكتوبا كما قال الراجز

* فى الصحف الأولى التى كان سطر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى ان أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك كان ذلك فى الكتاب مسطورا لايرث المشرك المؤمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ يقول تعالى ذكره كان ذلك فى الكتاب مسطورا اذ كتبنا كل ما هو كائن فى الكتاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم كان ذلك أيضا فى الكتاب مسطورا ويعنى بالميثاق العهد وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ومنك يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يقول وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا أن يصدق بعضهم بعضا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كنت أوّل الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا أن يصدّق بعضهم بعضا وأن يتبع بعضهم بعضا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال كان قتادة اذا تلا هذه الآية واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل النبيين فى الخلق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال فى ظهر آدم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ العهد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدّين من الرسل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لاتمتعون الا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا ۞ القراآت بما يعملون خبيرا على الغيبة والضمير للمنافقين أبو عمرو اللائى بهمزة بعدها ياء حمزة وعلى وخلف وعاصم وابن عامر بهمزة مكسورة فقط سهل ويعقوب ونافع غير ورش من طريق النجارى وابن مجاهد وابن عون عن قنبل اللاى بياء مكسورة فقط أبو عمرو وورش من طريق النجارى ويزيد وسائر الروايات عن ابن كثير وكذلك فى المجادلة والطلاق تظاهرون من المظاهرة عاصم تظاهرون بحذف احدى تاءى الفاعل حمزة وعلى وخلف مثله ولكن بادغام التاء فى الظاء ابن عامر الباقون تظهرون بتشديد الظاء والهاء بما يعملون بصيرا على الغيبة أبو عمرو وعباس مخير واذ زاغت مدغما أبو عمرو وعلى وهشام وحمزة فى رواية ابن سعدان وخلاد وابن عمرو وزاغت ممالة نصير

عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدّين من الرسل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن رجل عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال الرسل المؤدّين المبلغين قوله وأعدّ للكافرين عذابا أليما يقول وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق اذجاءتكم جنود يعني جنود الأحزاب قريش وغطفان ويهود بني النضير فأرسلنا عليهم ريحا وهي فيما ذكر ريح الصبا كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لاتسري بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثني الزبير يعني ابن عبد الله قال ثني ربيح بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد قال قلنا يوم الخندق يارسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بالريح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الله بن عمرو عن نافع عن عبد الله قال أرسلني خالي عثمن ابن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال من لقيت من أصحابي فمرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شئ فجعلت لاألقى أحدا الاأمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه عليّ وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها الى الارض حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أباعبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض لحملناه على أعناقنا قال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة فما قام أحد ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه فقال حذيفة

وحمزة في رواية خلاد ورجاء الظنونا والرسولا والسبيلا في الحالين ابو عمرو ونافع وابن عامر وعباس والخراز وابو بكر وحماد والمفضل وقرأ أبو عمرو غير عباس وحمزة ويعقوب بغير ألف في الحالين الباقون بالالف في الوقوف وبغير ألف في الوصل لامقام بضم الميم حفص الآخرون بفتحها لأتوها مقصورا من الاتيان ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بالمد من الايتاء الاعطاء ويساءلون بادغام التاء في السين من التفاعل يعقوب الباقون يسألون ثلاثيا ۞ الوقوف والمنافقين ط حكيما ٥ ربك ط خبيرا ٥ على الله ط وكيلا ط ٥ في جوفه ج فصلا بين بيان الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين أمهاتكم ج لذلك أبناءكم ط بأفواهكم ط السبيل ٥ عند الله ج للشرط مع العطف ومواليكم ط أخطأتم به لا لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا ان كان خبر مبتدا محذوف أي ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح وذلك للاستدراك رحيما ٥ ط أمهاتهم ط معروفا ٥ مسطورا ٥ عيسى ابن مريم ص للعطف غليظا ٥ صدقهم ج لان الماضي لاينعطف على المستقبل ولكن التقدير وقد أعد أليما ٥ تروها ط بصيرا ٥ ج لاحتمال أن يكون المراد واذكر اذ جاؤكم ولا سيما على قراءة يعملون على الغيبة الظنونا ط شديدا ٥ غرورا ٥ فارجعوا ج لظاهر الواو وان كانت للاستئناف بعورة ط بناء على أن ما بعده ابتداء اخبار من الله ومن وقف على عورة وجعل ابتداء الاخبار من هناك لم يقف فرارا ٥ يسيرا ٥ الأدبار ط مسؤلا ٥ قليلا ٥ رحمة ط ولا نصيرا ٥ الينا ج لاحتمال كون ما بعده استئنافا أو حالا قليلا لا لأن ما بعده حال عليكم ج لعطف الجملتين المختلفتين الموت ج فصلا بين تناقض الحالين الخير ط أعمالهم ط يسيرا ٥ لم يذهبوا ج أنبائكم ط قليلا ٥ ۞ التفسير لما أمره في آخر السورة المتقدمة فأخذت

بانتظار الفرج والنصر امره فى اول هذه السورة بأن لا يتقى غير الله ولا يطيع سواه قال جار الله عن زر قال قال ابى بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب

ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا

فأخذت بيد الرجل الذى الى جنبى فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واختلفت بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الىّ أن لا تحدث شيأ حتى تأتينى لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه فلما رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح علىّ طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ جاءتكم جنود قال الأحزاب عيينة بن بدر وأبو سفيان وقريظة وقوله فأرسلنا عليهم ريحا قال ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم وقوله وجنودا لم تروها قال الملائكة ولم تقاتل يومئذ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال يعنى الملائكة قال نزلت هذه الآية يوم الاحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا الخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عيينة بن حصن أحد بنى بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه فقال حيث يقول الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فبعث الله عليهم الرعب والريح فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حىّ يقول يا بنى فلان هلم الىّ حتى اذا اجتمعوا عنده فقال النجاء النجاء أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم الآية قال كان يوم أبى سفيان يوم الاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره وكان الله بأعمالكم يومئذ وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة وثباتهم لعدوهم وغير ذلك من أعمالهم بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شئ يحصيه عليهم ليجزيهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا﴾ يقول تعالى ذكره وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءتكم جنود الاحزاب من فوقكم ومن أسفل منكم وقيل ان الذين أتوهم من أسفل منهم أبو سفيان فى قريش ومن معه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما الى آخره أراد أبى بن كعب أنها من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلها الداجن فمن تأليفات المبتدعة ومن تشريفات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نودى فى جميع القرآن بالنبى أو الرسول دون اسمه كما جاء يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود وانما جاء فى الاخبار محمد رسول الله تعليما للناس وتلقينا لهم أنه رسول وجاء ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد لان المقام مقام تعيين وتشخيص وازالة اشتباه مع قصد أن لا يكون القرآن خاليا عن بركة اسمه العلم وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكره بنحو ما ذكره فى النداء كقوله لقد جاءكم رسول النبى أولى بالمؤمنين لقد كان لكم فى رسول الله أسوة والمراد بقوله (اتق الله) واظب على ما أنت عليه من التقوى ولو أريد الازدياد جاز لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا يأمن أحد أن يصدر عنه ما لا يوافق التقوى ولا يطابق الدعوى ولهذا جاء قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ يعنى انما يرفع عنى الحجاب فينكشف لى الوحى واذا أرخى لدى الستر فانى كهيئتكم يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة

وكان يحب اسلام يهود قريظة والنضير وغيرهم وقد تابعه ناس منهم على النفاق كان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وأشياعه قدموا المدينة أيام المصالحة

فقالوا يا رسول الله ارفض ذكر آلهتنا وندعك وربك فشق ذلك على المؤمنين فهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة (والمنافقين) من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وكانوا يقولون له أن يعطوه شطر أموالهم ان رجع عن دينه (ان الله كان عليما) بالصواب (حكيما) فيما أمرك به من عدم اتباع آرائهم وأهوائهم وحين نهاه عن اتباع الغى أمره باتباع ماهو رشد وصلاح وهو القرآن وبأن يثق بالله ويفوض اليه أموره فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه ولما أمر رسوله بما أمر من اتقاء الله وحده وقد ابتدر منه صلى الله عليه وسلم فى حكاية زينب زوجة دعيه زيد ما ابتدر قال على سبيل المثل ما جعل الله لرجل من قلبين كأنه قال يا أيها النبى اتق الله حق تقاته وهو أن لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى باحدهما الله وبالآخر غيره كما جاء فى قصة زيد وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أراد أن يدفع عنه مقالة الناس بأنه تعالى لم يجعل دعىّ المرء ابنه فقدم على ذلك مقدمة وهى قوله (وما جعل أزواجكم) الى آخرها أى انكم اذا قلتم لأزواجكم أنت علىّ كظهر أمى لا تصير أما باجماع الكل أما فى الاسلام فانه ظهار لا يحرم الوطء كما سيجىء فى سورة المجادلة وأما فى الجاهلية فلأنه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج أن يتزوج بها ثانيا فكذلك قول القائل للدعىّ انه ابنى لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لأحد أن يقول فى ذلك شيأ فلم يكن لخوفك من الناس وجه ولو كان أمرا مخوفا ما كان يجوز أن تخاف غير الله اذ ليس لك قلبان فى الجوف والفائدة فى ذكر هذا القيد كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور من زيادة التصوير للتأكيد ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علىّ كظهر أمى كأنه قال تباعدى منى بجهة الظهار وعدى بمن لتضمين معنى التباعد وانما كنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى يقارب الفرج فكنوا عنه بفاعل

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ جاؤكم من فوقكم قال عيينة بن بدر فى أهل نجد ومن أسفل منكم قال أبو سفيان قال وواجهتهم قريظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ذكرت يوم الخندق وقرأت اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قالت هو يوم الخندق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير وعمن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم قال فهم الذين أنزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا فيه فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك وعاقده فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيى يا كعب افتح لى قال ويحك يا حيى انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا

بالظهر الذي يلازمه لانه عموده وبه قوامه وقيل ان اتيان المرأة في قبلها من جانب ظهرها كان محذورا عندهم زعما منهم بأن الولد حينئذ
يجيء أحول فلقصد التغليظ شبهها المطلق منهم بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله

ظهر أمه والدعي فعيل بمعنى مفعول
وهو المدعو ولدا شبه بفعيل الذي
هو بمعنى فاعل كتقي وأتقياء فجمع
على أفعلاء واعلم أن زيد بن حارثة
كان رجلا من قبيلة كلب سبي صغيرا
فاشتراه حكيم بن حزام لعمته
خديجة فلما تزوجها رسول الله
وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير
فاختار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد ابن
محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما
كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان
أبو معمر رجلا من أحفظ العرب
وكان يقال له ذو القلبين وقيل هو
جميل الفهري كان يقول ان لي قلبين
أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد
فأكذب الله قولهما وضربه مثلا
في الظهار والتبني وقيل سها
في صلاته فقالت اليهود وأهل
النفاق لمحمد قلبان قلب مع أصحابه
وقلب معكم وعن الحسن نزلت
فيمن يقول نفس تأمرني ونفس
تنهاني ومعنى التنكير في رجل وزيادة
من الاستغراقية التأكيد كأنه
قيل ما جعل الله لنوع الرجال ولا
لواحد منهم قلبين البتة (ذلكم)
النسب (قولكم بأفواهكم) اذ لا أصل
شرعا للقول القائل هذا ابني وذلك
اذا كان معروف النسب حرا أما اذا
كان مجهول النسب فان كان حرا
ثبت نسبه من المتبني ظاهرا ان
أمكن ذلك بحسب السن وان كان
عبدا له عتق وثبت النسب وان كان
العبد معروف النسب عتق ولم يثبت
النسب ثم بين ما هو الحق والهدى
عند الله فقال (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم اليهم (فان لم تعلموا آباءهم) فهم اخوانكم في الدين ومواليكم فقولوا هذا أخي أو مولاي يعني الولاية
في الدين ثم رفع الجناح اذا صدر القول المذكور خطأ على سبيل سبق اللسان وكذا ما فعلوه من ذلك قبل ورود النهي ويجوز أن يراد العفو

بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح
له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طم جئتك بقريش على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع
الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد
عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب بن أسد جئتني والله
بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما أنا عليه فلم أر من محمد إلا
صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من
الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني
ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد
ابن عبادة بن دليم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله
ابن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى
تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد
الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على
أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد
فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم
فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر
أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن
يذهب الى الغائط وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث يا رسول الله ان بيوتنا عورة
من العدو وذلك عن ملا من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى دارنا وانها خارجة من المدينة فأقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي
بالنبل والحصا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني يزيد بن
رومان قوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فالذين جاؤهم من فوقهم قريظة والذين جاؤهم
من أسفل منهم قريش وغطفان وقوله واذ زاغت الأبصار يقول وحين عدلت الابصار عن
مقرها وشخصت طامحة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ زاغت الأبصار شخصت وقوله وبلغت القلوب
الحناجر يقول نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف فبلغت الى الحناجر كما حدثنا
ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وبلغت القلوب
الحناجر قال من الفزع وقوله وتظنون بالله الظنونا يقول وتظنون بالله الظنون الكاذبة وذلك

عن الخطاء على طريق العموم فيتناول لعمومه خطأ النبي وعمده (وكان الله غفورا) للخاطئ (رحيما) للعامل ولاسيما اذا تاب ثم انه كان لقائل أن يقول هب أن الدعي لا يسمى ابنا (٨٤) أما اذا كان لدعيه شئ حسن فكيف يليق بالمروءة أن تطمح عينه اليه وخاصة اذا كان زوجته فلذلك قال في جوابه (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) والمعقول فيه أنه راس الناس ورئيسهم فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم كما أن رعاية العضو الرئيس وحفظ صحته وازالة مرضه أولى والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول و يعلم من اطلاق الآية أنه أولى بهم من أنفسهم في كل شئ من أمور الدنيا والدين وقيل ان أولى بمعنى أرأف وأعطف كقوله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فلترثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أوضياعا أي عيالا فالى وكما رفع قدره بتحليل أزواج غيره له اذا تعلق قلبه باحداهن رفع شأنه بتحريم أزواجه على أمته ولو بعد وفاته فقال (وأزواجه أمهاتهم) أي في هذا الحكم فانهن فيما وراء ذلك كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن ومن كمال عناية الله سبحانه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لم يقل وهو أب لهم وان جاءت هذه الزيادة في قراءة ابن مسعود والاحرم زوجات المؤمنين عليه أبدا الا أن يراد الابوة والشفقة في الدين كما قال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة قال المفسرون كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة فنسخه الله بقوله (وأولو الأرحام) الآية وجعل التوارث بحق القرابة ومعنى (في كتاب الله) في اللوح أو في القرآن وهو هذه الآية و آية المواريث وقد سبق نظيره في آخر الانفال وقوله (من المؤمنين) اما ان يتعلق باولوا الارحام أي الاقارب من هؤلاء بعضهم أولى

كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظن ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره حدثنا بشر قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن وتظنون بالله الظنونا قال ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق انه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون واختلفت القراء في قراءة قوله وتظنون بالله الظنون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة و بعض الكوفيين الظنونا باثبات الالف وكذلك وأطعنا الرسولا فأضلونا السبيلا في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم أن ذلك في كل مصاحف المسلمين باثبات الالف في هذه الاحرف كلها وكان بعض قراء الكوفة يثبت الالف فيهن في الوقف و يحذفها في الوصل اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف ولا تفعل ذلك في حشو الابيات فان هذه الاحرف حسن فيها اثبات الالفات لانهن رؤس الآي تمثيلا لها بالقوافي وقرأ ذلك بعض قراء البصرة والكوفة بحذف الالف من جميعه في الوقف والوصل اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب الا في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم وأنها انما تفعل ذلك في القوافي طلبا لاتمام وزن الشعر اذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصح الشعر وليس ذلك كذلك في القرآن لانه لا شئ يضطرهم الى ذلك في القرآن وقالوا هن مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بحذف الالف في الوصل والوقف لان ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب مع شهرة القراءة بذلك في قراء المصرين الكوفة والبصرة ثم القراءة باثبات الالف فيهن في حالة الوقف والوصل لان علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين واذا كانت العلة في اثبات الالف في بعض الاحوال كونه مثبتا في مصاحف المسلمين فالواجب أن تكون القراءة في كل الاحوال ثابتة لانه مثبت في مصاحفهم وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الاحوال موجودة في حال أخرى والقراءة مختلفة وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير لان قوافي الشعر انما تلحق فيها الالفات في مواضع الفتح والياء في مواضع الكسر والواو في مواضع الضم طلبا لتتمة الوزن وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه ولا شئ يضطر تالي القرآن الى فعل ذلك في القرآن وقوله هنالك ابتلي المؤمنون يقول عند ذلك اختبر ايمان المؤمنين ومحص القوم عرف المؤمن من المنافق * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هنالك ابتلي المؤمنون قال محصوا وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا يقول وحركوا بالفتنة تحريكا شديدا وابتلوا وفتنوا وقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض شك في الايمان وضعف في اعتقادهم اياه ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا يقول معتب بن قشير اذ قال ما قال يوم الخندق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

بأن يرث بعضا من الاجانب واما أن يتعلق بأولى أي أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية ومن المهاجرين
بحق الهجرة ثم أشار الى الوصية بقوله (الا أن تفعلوا) أي الا أن يسدوا ويوصلوا الى أوليائهم في الدين وهم المؤمنون والمهاجرون
معروفا برا بطريق التوصية
والحاصل أن الاقارب أحق من
الاجانب في كل نفع من ميراث
وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك
الا في الوصية فانه لا وصية لوارث
قال أهل النظم كأنه سبحانه قال
بينكم هذا التوارث والنبي لا توارث
بينه وبين أقاربه فلذلك جعلناه
بدل هذا أنه أولى في حياته بما
في أيديكم أولعله أراد دليلا على
قوله أولى بالمؤمنين فذكر أن أولى
الارحام بعضهم أولى ببعض ثم لو
أراد أحد برا مع صديقه صار ذلك
الصديق أولى من قريبه كأنه
بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي
لا ينتقل مني الا الى من أريده فالله
تعالى كذلك جعل لصديقه من
الدنيا ما أراده ثم ما يفضل منه
يكون لغيره (كان ذلك) الذي ذكر
في الآيتين (في الكتاب) وهو القرآن
أو اللوح (مسطورا) والجملة مستأنفة
كالخاتمة للاحكام المذكورة
ثم أكد الامر بالاتقاء بقوله (واذ
أخذنا) أي اذكر وقت أخذنا
في الازل (من النبيين ميثاقهم) بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القويم من
غير تفريط وتوان وقد خصص
بالذكر خمسة لفضلهم وقدم نبينا
صلى الله عليه وسلم لأفضليته وانما
قدم نوحا في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك
لان المقصود هنالك وصف دين
الاسلام بالاصالة والاستقامة
فكأنه قال شرع لكم من الدين
الأصلي الذي بعث عليه نوح
في العهد القديم ومحمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير وانما نسب الدين القديم الى نوح لا
الى آدم لان نوحا كان أصلا ثانيا للناس بعد الطوفان وخلق آدم كان كالعمارة ونبوته كانت ارشاد اللاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم

قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال تكلمهم بالنفاق يومئذ وتكلم
المؤمنون بالحق والايمان قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
قال قال ذلك أناس من المنافقين قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا ههنا حتى
ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد قال قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم
يا فلان أرأيت اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك
كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله فأين هذا من هذا
وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فقال له كذبت
لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاه
فقال ما قلت فقال كذب عليّ يا رسول الله ما قلت شيأ ما خرج هذا من فمي قط قال الله يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حتى بلغ وما لهم من وليّ ولا نصير قال فهذا قول الله ان نعف عن
طائفة منكم نعذب طائفة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا كثير بن
عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال ثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخندق عام ذكرت الأحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد ثم جعل أربعين
ذراعا بين كل عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال
الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت
قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني وستة من
الانصار في أربعين ذراعا فحفرنا تحت ٣ دوبار حتى بلغنا الصرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة
بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب
أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية
فقال يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة فكسرت حديدنا
وشقت علينا حتى ما يحيء منها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة
أضاءت ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فصدعها
وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها
وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم تكبير فتح ثم أخذ بيد سلمان فرقى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت

شيأ ما رأيته قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال هل رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيأ غير ذلك قال صدقتم ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منه قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منه قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة وبرق منها الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق بأن وعدنا النصر بعد الحصر فطبقت الأحزاب فقال المسلمون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا * القول في تأويل قوله تعالى {واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا} يعني تعالى ذكره بقوله واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم واذ قال بعضهم يا أهل يثرب ويثرب اسم أرض فيقال ان مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من يثرب وقوله لا مقام لكم فارجعوا بفتح الميم من مقام يقول لا مكان لكم تقومون فيه كما قال الشاعر

فأني ما وأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

قوله فارجعوا يقول فارجعوا الى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان ذلك من قيل أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب الى فرارا يقول أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه من قومه والقراءة على فتح الميم من قوله لا مقام لكم بمعنى لا موضع قيام لكم وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك لا مقام لكم بضم الميم يعني لا اقامة لكم وقوله ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة يقول تعالى ذكره ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن بالانصراف عنه الى منزله ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويستأذن فريق منهم النبي الى قوله الا فرارا قال هم بنو حارثة قالوا بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا

ولا تعذيب كما في زمن نوح والله أعلم قال أهل البيان أراد بالميثاق الغليظ ذلك الميثاق بعينه أي وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا أي عظيما وهو مستعار من وصف الاجرام * وقال آخرون هو سؤالهم عما فعلوا في الارسال كما قال ولنسألن المرسلين وهذا لان الملك اذا أرسل رسولا وأمره بشئ وقبله كان ميثاقا فاذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله يكون تغليظا في الميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة وعلى هذا يحق أن يقال قوله في سورة النساء وأخذن منكم ميثاقا غليظا هو الاخبار بأنهم مسؤلون عنهن كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ثم بين الغاية من ارسال الرسل فقال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) الآية وفيه ان عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق محاسب والكاذب معاقب كما قال علي رضي الله عنه حلالها حساب وحرامها عقاب فالصادقون على هذا التفسير هم الذين صدقوا عهدهم يوم الميثاق حين قالوا بلى في جواب ألست بربكم ثم أقاموا على ذلك في عالم الشهادة وهم المصدقون للانبياء فان من قال للصادق صدقت كان صادقا ووجه آخر وهو أن يراد بهم الانبياء فيكون كقوله ولنسألن المرسلين وكقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وفائدة مسئلة الرسل تبكيت الكافرين كما مر قال جار الله قوله (وأعد) معطوف على أخذنا كأنه قال أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قيل فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين وفيه وجه آخر عرفته في الوقوف ثم أكد الامر بالاتقاء من الله وحده مرة أخرى فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا) الآية وذلك أن في وقعة الاحزاب اشتد الامر على الاصحاب لاجتماع المشركين بأسرهم واليهود بأجمعهم فأمنهم الله عن وهزم عدوهم فينبغي أن لا يخاف العبد غير الله القدير البصير وذكروا في القصة أن قريشا كانت قد أقبلت في عشرة آلاف من أحزاب بني كنانة

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان بيوتنا عورة قال نخشى عليها السرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة وانها مما يلي العدو وانا نخاف عليها السراق فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجد بها عدوا قال الله ان يريدون الا فرارا يقول انما كان قولهم ذلك ان بيوتنا عورة انما كان يريدون بذلك الفرار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن حمران قال ثنا عبد السلام بن شداد أبو طالوت عن أبيه في هذه الآية ان بيوتنا عورة وماهي بعورة قال ضائعة وقوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ان بيوتنا عورة من أقطارها يعني من جوانبها ونواحيها واحدها قطر وفيها لغة أخرى قتر وأقتار ومنه قول الراجز

ان شئت أن تدهن أو تمرا ✽ فولهن قترك الأشرا

وقوله ثم سئلوا الفتنة يقول ثم سئلوا الرجوع من الايمان الى الشرك لآتوها يقول لفعلوا ورجعوا عن الاسلام وأشركوا وقوله وما تلبثوا بها الا يسيرا يقول وما احتبسوا عن اجابتهم الى الشرك الا يسيرا قليلا ولأسرعوا الى ذلك ✽ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو دخلت عليهم من أقطارها أي لو دخل عليهم من نواحي المدينة ثم سئلوا الفتنة أي الشرك لآتوها يقول لأعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يقول الا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ثم سئلوا الفتنة لآتوها سئلوا أن يكفروا لكفروا قال وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا قال والفتنة الكفر وهي التي يقول الله الفتنة أشد من القتل أي الكفر يقول يحملهم الخوف منهم وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به واختلفت القراء في قراءة قوله لآتوها فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة لأتوها بقصر الالف بمعنى جاؤها وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفة والبصرة لآتوها بمد الالف بمعنى لأعطوها لقوله ثم سئلوا الفتنة وقالوا اذا كان سؤال كان اعطاء والمد أعجب القراءتين الي لما ذكرت وان كانت الاخرى جائزة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه ويقولون ان بيوتنا عورة عاهدوا الله من قبل ذلك أن لا يولوا عدوهم الأدبار ان لقوهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فما أوفوا بعهدهم وكان عهد الله مسؤلا يقول فيسأل الله ذلك من أعطاه اياه من نفسه وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا وهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله

وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وقد خرج غطفان في ألف ومن تابعهم من نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء أن يرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر وذلك بأن أرسل على أولئك الجنود المتحزبة ريح الصبا في ليلة باردة شاتية فسفت التراب في وجوههم (و) أرسل (جنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا فقلعوا الاوتاد وقطعوا الاطناب وأطفؤا النيران وأكفؤا القدور وتفرقت الخيول وكثرت الملائكة في جوانب عسكرهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ومعنى (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا ومعنى زيغ الابصار ميلها عن سننها واستوائها حيرة أو عدولها عن كل شئ الا عن العدو فزعا وروعا والحنجرة منتهى الحلقوم وبلوغ القلوب الحناجر اما أن يكون مثلا لاضطراب القلوب وقلقها وان لم تبلغها في الحقيقة واما أن يكون حقيقة لان القلب عند الخوف يجتمع فيتقلص ويلتصق بالحنجرة وقد يفضي الى أن يسد مخرج النفس فيموت وانما جمع الظنون مع أن الظن مصدر لان المراد أنواع مختلفة فظن المؤمنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وظن المنافقون وضعاف اليقين الذين في قلوبهم مرض وهم على حرف ما حكى الله عنهم وهو قوله

(ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) كما حكينا عن معتب ومن فوائد جمع الظن أن يعلم قطعا أن فيهم من أخطأ الظن فان الظنون المختلفة لا تكون كلها صادقة فاما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها فقط والمقام مقام تقرير نتائج الخوف (واذ قالت طائفة منهم) كعبد الله

ابن أبي وأصحابه ويثرب اسم المدينة أو أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) أي لا قرار لكم ولا مكان ههنا تقومون أو تقيمون فيه على القراءتين فارجعوا الى المدينة واهربوا من عسكر رسول الله أو ارجعوا كفارا واتركوا دين محمد والا فليست لكم يثرب بمكان ثم ان السامعين عزموا على الرجوع فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم وتعللوا بأن بيوتنا عورة أي ذات خلل لا يأمن أصحابها السراق على متاعهم أو أنها معرضة للعدو فأكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة) ثم أظهر ما تكن صدورهم فقال (ان يريدون الا فرارا) ثم بين مصداق ذلك بقوله (ولو دخلت) أي المدينة عليهم من أقطارها أو دخلت عليهم بيوتهم من جوانبها وأكنافها (ثم سئلوا الفتنة) أي الارتداد والرجوع الى الكفر وقتال المسلمين (لآتوها) والحاصل أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة التي يفرون منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها لأجل النهب والسبي ثم عرض عليهم الكفر ويقال لهم كونوا على المسلمين لتسارعوا اليه وما تعللوا بشئ ويمكن أن يراد ان ذلك الفرار والرجوع ليس لأجل حفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل المال لكيلا يؤخذ منه بيته فاذا أخذ منه البيت لا يبذله فأكذبهم الله تعالى بأن الاحزاب لو دخلت بيوتهم وأخذوها منهم لرجعوا عن نصرة المسلمين فتبين أن رجوعهم عنك ليس الا لكفرهم ومقتهم الاسلام والضمير في قوله (وما تلبثوا بها الا يسيرا) يرجع الى الفتنة أي لم يلبثوا باتيان الفتنة

مسؤلا قال كان ناس غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ويقولون ان بيوتنا عورة لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل يقول لأن ذلك أو ما كتب الله منهما واصل اليكم بكل حال كرهتم أو أحببتم واذا لا تمتعون الا قليلا يقول واذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم بل انما تمتعون في هذه الدنيا الى الوقت الذي كتب لكم ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا وانما الدنيا كلها قليل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال ما بينهم وبين الاجل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم مثله الا أنه قال ما بينهم وبين آجالهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم أحد هذين الحديثين رفعه الى ربيع بن خثيم حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن الأعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الأجل ورفع قوله تمتعون ولم ينصب باذا للواو التي معها وذلك أنه اذا كان قبلها واو كان معنى اذا التأخير بعد الفعل كأنه قيل ولو فروا لا يمتعون الا قليلا اذا وقد ينصب بها أحيانا وان كان معها واو لان الفعل متروك فكأنها لأول الكلام وقوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون ان بيوتنا عورة هربا من القتل من ذا الذي يمنعكم من الله ان هو أراد بكم سوأ في أنفسكم من قتل أو بلاء أو غير ذلك أو عافية وسلامة وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة الا من قبله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد ابن رومان قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة أي انه ليس الامر الا ما قضيت وقوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يقول تعالى ذكره ولا يجد هؤلاء المنافقون ان أراد الله بهم سوأ في أنفسهم وأموالهم من دون الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾

يقول

يقول تعالى ذكره قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه وعن شهود الحرب معه نفاقا منهم وتخذيلا عن الاسلام وأهله والقائلين لاخوانهم هلم الينا أى تعالوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه مشهده فانا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ولا يأتون البأس الاقليلا يقول ولا يشهدون الحرب والقتال ان شهدوا الا تعذيرا ودفعا عن أنفسهم المؤمنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم قال هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك وقوله ولا يأتون البأس الاقليلا أى لا يشهدون القتال يغيبون عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا يزيد بن رومان قد يعلم الله المعوّقين منكم أى أهل النفاق والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الاقليلا أى الادفعا وتعذيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم الى آخر الآية قال هذا يوم الاحزاب انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ فقال له أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال هلم الى هذا فقد بلغ بك وبصاحبك والذى يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذى يحلف به قال وكان أخاه من أبيه وأمه أما والله لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم أمرك قال وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره قال فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الاقليلا وقوله أشحة عليكم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين فى هذا الموضع من الشح فقال بعضهم وصفهم بالشح عليهم فى الغنيمة ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أشحة عليكم فى الغنيمة * وقال آخرون بل وصفهم بالشح عليهم بالخير ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أشحة عليكم قال بالخير المنافقون وقال غيره معناه أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح ولم يخصص وصفهم من معانى الشح بمعنى دون معنى فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين ونصب قوله أشحة عليكم على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله ولا يأتون البأس كأنه قيل هم جبناء عند البأس أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله قد يعلم الله المعوّقين منكم فيكون تأويله قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس عن القتال ويشحون عند الفتح بالغنيمة ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله هلم الينا أشحة وهم هكذا أشحة ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضغن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان أشحة عليكم أى للضغن الذى فى أنفسهم وقوله فاذا جاء الخوف الى قوله من الموت يقول تعالى ذكره فاذا حضر الناس وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل رأيتهم يا محمد ينظرون اليك لواذا بك تدور أعينهم خوفا من القتل وفرارا منه كالذى يغشى عليه من الموت يقول كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت النازل به فاذا ذهب الخوف يقول فاذا انقطعت الحرب واطمأنوا سلقوكم بألسنة حداد

أو باعطائها الازمانا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب أولم يقيموها الا قليلا ثم تزول وتكون العاقبة للمتقين ويحتمل عود الضمير الى المدينة أى وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا قليلا فان الله يهلكهم قوله (ولقد كانوا) الآية عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد أن نزل فيهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم من الخوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت أى اعظاما وفرقا منه وأما قوله سلقوكم بألسنة حداد فانه يقول عضوكم بألسنة ذربة ويقال للرجل الخطيب الذرب اللسان خطيب مسلق ومصلق وخطيب سلاق وصلاق * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به فقال بعضهم ذلك سلقهم اياهم عند الغنيمة بمسألتهم القسم لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة أعطونا أعطونا فانا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق * وقال آخرون بل ذلك سلقهم اياهم بالأذى ذكر ذلك عن ابن عباس حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سلقوكم بألسنة حداد قال استقبلوكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سلقوكم بألسنة حداد قال كلموكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسلقونهم من القول بما تحبون نفاقا منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد فى القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسبة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده * وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير فأخبر أن سلقهم المسلمين شحا منهم على الغنيمة والخير فمعلوم اذ كان ذلك كذلك أن ذلك لطلب الغنيمة واذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل فى ذلك قول من قال معنى ذلك سلقوكم بالأذى لأن فعلهم ذلك كذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى وقوله أشحة على الخير يقول أشحة على الغنيمة اذا ظفر المؤمنون وقوله لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم فى هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله ولكنهم أهل كفر ونفاق فأحبط الله أعمالهم يقول فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها وذكر أن الذى وصف بهذه الصفة كان بدريا فأحبط الله عمله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا قال فحدثنى أبى أنه كان بدريا وأن قوله أحبط الله أعمالهم أحبط الله عمله يوم بدر وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكان احباط عملهم الذى كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره يحسب هؤلاء المنافقون الاحزاب وهم قريش وغطفان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قريش وغطفان وقوله لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا وان كانوا قد انصرفوا جبنا وهلعا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قال يحسبونهم قريبا وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله يحسبون الأحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا لو أنهم بادون فى الأعراب

ما نزل ثم ذكر أن عهد الله مسؤل عنه وأن ما قضى الله وقدر من الموت حتف الانف أو من القتل فهو كائن والفرار منه غير نافع ولئن فرض أن الفرار نافع فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع فى مراتع الدنيا الا زمانا قليلا عن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب ثم أكد التقرير المذكور بقوله (قل من ذا الذى يعصمكم) الآية قال جار الله لا عصمة الا من السوء فتقدير الكلام من يعصمكم من الله ان أراد

وقوله وان يأت الاحزاب يودّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يقول تعالى ذكره وان يأت المؤمنين الاحزاب وهم الجماعة واحدهم حزب يودّوا يقول يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم فى البادية مع الأعراب خوفا من القتل وذلك قوله لو أنهم بادون فى الاعراب تقول قد بدا فلان اذا صار فى البدو فهو يبدو وهو باد وأما الأعراب فانهم جمع أعرابىّ واحد العرب عربى وانما قيل أعرابى لأهل البدو فرقا بين أهل البوادى والامصار فجعل الأعراب لاهل البادية والعرب لاهل المصر وقوله يسألون عن أنبائكم يقول يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم يعنى عن أخباركم بالبادية هل هلك محمد وأصحابه يقول يتمنون أن يسمعوا اخباركم بهلاككم أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يقول تعالى ذكره للمؤمنين ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم وما قاتلوا المشركين الا قليلا يقول الا تعذيرا لانهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألون عن أنبائكم قال أخباركم وقرأت قراء الامصار جميعا سوى عاصم الجحدرى يسألون عن أنبائكم بمعنى يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم وذكر عن عاصم الجحدرى أنه كان يقرأ ذلك يساءلون بتشديد السين بمعنى يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا عن ذلك والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أسوة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار اسوة بكسر الالف خلا عاصم بن أبى النجود فانه قرأه بالضم أسوة وكان يحيى ابن وثاب يقرأ هذه بالكسر ويقرأ قوله لقد كان لكم فيهم أسوة بالضم وهما لغتان وذكر أن الكسر فى أهل الحجاز والضم فى قيس يقولون أسوة وأخوة وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة من المؤمنين به يقول لهم جل ثناؤه لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان ولا تتخلفوا عنه لمن كان يرجوا الله يقول فان من يرجو ثواب الله ورحمته فى الآخرة لا يرغب بنفسه ولكنه تكون له به أسوة فى أن يكون معه حيث يكون هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم أقبل على المؤمنين فقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به وذكر الله كثيرا يقول وأكثر ذكر الله فى الخوف والشدّة والرخاء وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب يقول ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليما منهم لأمر الله وايقانا منهم بأن ذلك انجاز وعده لهم الذى وعدهم بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم وتسليمهم لأمره الثناء فقال وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا ايمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب الآية قال ذلك أن الله

بكم سوأ أو من يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * أى ومعتقلا رمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع والمعوّقون الذين يمنعون الناس من نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون واليهود (هلم الينا) معناه قربوا أنفسكم الينا وقد مر فى الانعام فى قوله قل هلم شهداءكم وقوله (ولا يأتون) معطوف على القائلين لانه فى معنى الذين يقولون وقوله (الا قليلا) أى الا اتيانا قليلا كقوله

قال لهم فى سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الى قوله ان نصر الله قريب قال فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق تأول المؤمنون ذلك ولم يزدهم ذلك الا ايمانا وتسليما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب هذا والله البلاء والنقص الشديد وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما لقضاء الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره من المؤمنين بالله ورسوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس فمنهم من قضى نحبه يقول فمنهم من فرغ من العمل الذى كان نذره لله وأوجبه له على نفسه فاستشهد بعض يوم بدر و بعض يوم أحد و بعض فى غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه والنحب النذر فى كلام العرب وللنحب أيضا فى كلامهم وجوه غير ذلك منها الموت كما قال الشاعر

* قضى نحبه فى ملتقى القوم هوبر *

يعنى منيته ونفسه ومنها الخطر العظيم كما قال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب

أى على خطر عظيم ومنها النحيب يقال نحب فى سيره يومه أجمع اذا مد فلم ينزل يومه وليلته ومنها التنحيب وهو الخطار كما قال الشاعر

و اذا نحبت كلب على الناس انهم * أحق بتاج الماجد المتكرم

* و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أى وفوا الله بما عاهدوه عليه فمنهم من قضى نحبه أى فرغ من عمله ورجع الى ربه كمن استشهد يوم بدر و يوم أحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده فقتل أو عاش ومنهم من ينتظر يوما فيه جهاد فيقضى نحبه عهده فيقتل أو يصدق فى لقائه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه قتال فيصدق فى اللقاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال مات على العهد * قال ثنا

ما قاتلوا الا قليلا لقلة الرغبة وعوز الجد والأشحة جمع شحيح قيل معناه أضناء بكم أى يظهرون الاشفاق على المسلمين قبل شدة القتال فاذا جاء البأس ارتعدت فرائصهم وتدور أعينهم كدوران عين من يغشى عليه من سكرات الموت وقيل أراد أنهم يبخلون بأموالهم وأنفسهم فلا يبذلونهما فى سبيل الله (فاذا ذهب الخوف) وجمعت الغنائم (سلقوكم) أى بسطوا اليكم ألسنتهم قائلين وفروا قسمتنا فانا قد شاهدنا كم وقاتلنا معكم و بنا نصرتم و بمكاننا

أبو أسامة عن عبدالله بن فلان « قد سماه ذهب عني اسمه » عن أبيه فمنهم من قضى نحبه قال نذره حدثنا ابن ادريس عن طلحة بن يحيى عن عمه عيسى بن طلحة أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله من الذين قضوا نحبهم فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران فقال هذا من الذين قضوا نحبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله فمنهم من قضى نحبه قال موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك (١) ومنهم من بدّل تبديلا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيدالله ابن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قال النحب العهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر من نفسه الصدق والوفاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم من قضى نحبه قال مات على ما هو عليه من التصديق والايمان ومنهم من ينتظر ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي بكير قال شريك بن عبدالله أخبرناه عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال الموت على ما عاهد الله عليه ومنهم من ينتظر الموت على ما عاهد الله عليه

وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من أوفى فقضى نحبه ومنهم من بدّل ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه وكان منتظرا على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبدالرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وهزم الناس لقي سعد بن معاذ فقال والله اني لأجد ريح الجنة فتقدم فقاتل حتى قتل فنزلت فيه هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالله بن بكير قال ثنا حميد قال زعم أنس بن مالك قال غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر فقال غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال أي سعد اني لأجد ريح الجنة دون أحد فقال سعد يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع قال أنس بن مالك فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه نزلت فيه وفي أصحابه حدثنا سوار بن عبدالله قال ثنا المعتمر قال سمعت حميدا يحدث عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر غاب عن قتال بدر ثم ذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانوا لا يجرؤن على مسألته فقالوا للأعرابي سله من قضى نحبه من هو فسأله فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم دخلت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي أنا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدالحميد الحماني عن اسحق بن يحيى

غلبتم عدوكم فهم عند البأس أجبن قوم وأخذلهم للحق وأما عند حيازة الغنيمة فأشحهم وأوقعهم والحداد جمع حديد وكرر أشحة لان الاول مطلق والثاني مقيد بالخير وهو المال والثواب أو الدين أو الكلام الجميل (أولئك) المنافقون (لم يؤمنوا) حقيقة وان آمنوا في الظاهر (فأحبط الله أعمالهم) التي لها صورة الصلاح بأن أعلم المسلمين أحوال باطنهم (وكان ذلك) الذي ذكر من أعمال أهل النفاق (يسيرا) على الله لا وزن لها عنده أو وكان ذلك

(١) الذي في الدر بدله وآخرون ما بدلوا تبديلا فتنبه كتبه مصححه

الطلحي عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثني أبي عن اسحق عن يحيي بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن أبيه طلحة قال لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس وعزاهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر ثم قرأ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قال فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فالتفت وعلي ثوبان أخضران فقال أيها السائل هذا منهم وقوله وما بدّلوا تبديلا وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرا كما غيره المعوقون القائلون لاخوانهم هلم الينا والقائلون ان بيوتنا عورة * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما بدّلوا تبديلا يقول ما شكوا وما تردّدوا في دينهم ولا استبدلوا به غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما بدّلوا تبديلا لم يغير وادينهم كما غير المنافقون وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم يقول تعالى ذكره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزي الله الصادقين بصدقهم يقول ليثيب الله اهل الصدق منهم بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ووفائهم له به و يعذب المنافقين ان شاء بكفرهم بالله ونفاقهم أو يتوب عليهم من نفاقهم فيهديهم للايمان * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم يقول ان شاء أخرجهم من النفاق الى الايمان ان قال قائل ما وجه الشرط في قوله و يعذب المنافقين بقوله ان شاء والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق فيقال و يعذبه ان شاء قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته وانما معنى ذلك و يعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم ان شاء فيستوجبوا بذلك العذاب فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب ان ماتوا على نفاقهم وقد بين ما قلنا في ذلك قوله أو يتوب عليهم فمعنى الكلام اذا و يعذب المنافقين اذ لم يهدهم للتوبة فيوفقهم لها أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله ان الله كان غفورا رحيما يقول ان الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿و ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ يقول تعالى ذكره ورد الله الذين كفروا به و برسوله من قريش وغطفان بغيظهم يقول بكربهم وغمهم بفوتهم ما أملوا من الظفر وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة لم ينالوا خيرا يقول لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا اسارا وكفى الله المؤمنين القتال بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله و ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا الأحزاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال بالجنود من عنده والريح التي بعث عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان و ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا أي قريش وغطفان حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا شبابة قال ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد

الخدري

الاحباط عليه سهلا قال في الكشاف لان أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف ويمكن أن يقال اعدام الجواهر هين على الله فاعدام الاعراض ولاسيما بمعنى عدم اعتبار نتائجها أولى بأن يكون هينا ثم قرر طرفا آخر من جبنهم وهو أنهم (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) وقد ذهبوا فانصرف المنافقون الى المدينة منهزمين بناء على هذا الحسبان ومن جملة جبنهم وضعف

الخدرى عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق عن الصلاة فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد العشاء بهوى كفينا وأنزل الله وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة وصلى الظهر فأحسن صلاتها كما كان يصليها فى وقتها ثم صلى العصر كذلك ثم صلى المغرب كذلك ثم صلى العشاء كذلك جعل لكل صلاة اقامة وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا حدثنى محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبى سعيد الخدرى قال حبسنا يوم الخندق فذكر نحوه وقوله وكان الله قويا عزيزا يقول وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله لا يغلبه غالب عزيزا يقول هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله قويا عزيزا قويا فى أمره عزيزا فى نقمته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ يقول تعالى ذكره وأنزل الله الذين أعانوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك هو مظاهرتهم اياهم وعنى بذلك بنى قريظة وهم الذين ظاهروا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من أهل الكتاب يعنى من أهل التوراة وكانوا يهود وقوله من صياصيهم يعنى من حصونهم ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب قال قريظة يقول أنزلهم من صياصيهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة ظاهروا أبا سفيان وراسلوه فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبى الله قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه وقد غسلت شقه اذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهض الى بنى قريظة فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال قال فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلك سكة بنى غنم فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم وناداهم يا اخوان القردة فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فحاشا فنزلوا على حكم ابن معاذ وكان بينهم وبين قومه حلف فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة وأومأ اليهم أبو لبابة انه الذبح فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقال قومه وعشيرته آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال فانكم كنتم ذوى عقار وان المهاجرين كانوا لا عقار لهم وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال قضى فيكم بحكم الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن ابن شهاب الزهرى معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت

احتمالهم أنه (ان يأت الاحزاب) كرة ثانية تمنوا (أنهم بادون) أى خارجون الى البدو حاصلون فيما بين الاعراب حذرا من عيان القتال فيكون حالهم اذ ذاك أنهم (يسألون عن أخباركم) قانعين من العيان بالاثر ومن الحضور بالخبر (ولو كانوا فيكم) ولم ينصرفوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا (الا قليلا) ابداء للعذر على سبيل الرياء والضرورة ۞ التأويل اتق الله من التكوين وكان عليه السلام متقيا من الازل

الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم ان الله يأمرك يا محمد بالسير الى بنى قريظة
وأنا عامد الى بنى قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن فى الناس ان من كان
سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى
طالب رضى الله عنه برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فسار علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه
حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث قال
لم أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته
قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل
أن يصل الى بنى قريظة فقال مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على
بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبرائيل بعث
الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم يقال لها بئر أنا فتلاحق به الناس فأتاه رجال
من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر
الا فى بنى قريظة فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسوله والحديث عن
محمد بن اسحق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك الانصارى قال وحاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وقد كان حيى
ابن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن
أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى
يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم
خلالا ثلاثا فخذوا أيها قالوا وماهن قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل
وانه الذى كنتم تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق
حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه علىّ فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد
وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك
نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء
المساكين فما خير العيش بعدهم قال فاذا أبيتم هذه علىّ فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون
محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه
ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال
ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء
الأوس نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش
اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم
وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله
ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد
الى عمود من عمده وقال لا ابرح مكانى حتى يتوب الله علىّ مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة

الى الأبد وكذا الكلام فيما يتلوه من
النواهى والاوامر ما جعل الله لرجل
من قلبين فى جوفه لان القلب
صدف درة المحبة ومحبة الله لا تجتمع
مع محبة الدنيا والهوى وغيرهما
فالقلب واحد كما أن المحبة واحدة
والمحبوب واحد وما جعل أزواجكم
أمهاتكم وأدعياءكم أبناءكم فيه أن
الحقائق لا تنقلب لا عقلا ولا طبعا
ولا شرعا وليس عليكم جناح فيما
أخطأتم به من معرفة الانساب فان
النسب الحقيقى ما ينسب الى النبى

أبدا ولا يرانى الله فى بلد خنت الله و رسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو كان لو جاءنى لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله الى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه قال و بعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فالله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار وقد وطؤا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الأشهل فنعى اليهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال فحدثنى محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار ابنة الحرث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه أرسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم

صلى الله عليه وسلم فانه النسب الباقى كما قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى فحسبه الفقر ونسبه النبوة ولكن ما تعمدت قلوبكم بقطع الرحم عن النبوة بترك سنته وسيرته النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم لانهم لا يقتدرون على توليد أنفسهم فى النشأة الثانية كما لم يقدروا على توليد أنفسهم فى النشأة الاولى وكان أبوهم أحق بهم من أنفسهم فى توليدهم من صلبه وأزواجه وهن قلوبهم

وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر منهم يقول كانوا من الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وانه من يذهب به منكم فما يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة قد كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبي

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغي العز كل مقلقل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق اذهتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته قال فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما أنسى عجبي منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم والصياصي الحصون والآطام التي كانوا فيها وقذف في قلوبهم الرعب حدثنا عمرو بن مالك البكري قال ثنا وكيع بن الجراح وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة من صياصيهم قال من حصونهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من صياصيهم يقول أنزلهم من صياصيهم قال قصورهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من صياصيهم أي من حصونهم وآطامهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال الصياصي حصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى وأصل الصياصي جمع صيصة وعني بها ههنا حصونهم والعرب تقول لطرف الجبل صيصة ويقال لأصل الشئ صيصة يقال جز الله صيصة فلان أي أصله ويقال لشوك الحاكة صياصي كما قال الشاعر * كوقع الصياصي في النسيج الممدد * وهي شوكتا الديك وقوله وقذف في قلوبهم الرعب يقول وألقى في قلوبهم الخوف منكم فريقا تقتلون يقول تقتلون منهم جماعة وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حين ظهر عليهم وتأسرون فريقا يقول وتأسرون منهم جماعة وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فريقا تقتلون الذين ضربت أعناقهم وتأسرون فريقا الذين سبوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان فريقا تقتلون وتأسرون فريقا أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم يقول وملككم بعد مهلكهم أرضهم يعني مزارعهم ومغارسهم وديارهم يقول ومساكنهم وأموالهم يعني سائر الاموال غير الارض والدور وقوله وأرضا لم تطؤها اختلف أهل التأويل فيها أي أرض هي فقال بعضهم هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التي فتحها الله بعد ذلك على المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرضا لم تطؤها قال قال الحسن هي الروم

أمهاتهم لانه يتصرف في قلوبهم تصرف الذكور في الاناث بشرط كمال التسليم ليقع من صلب النبوة نطفة الولاية في أرحام القلوب واذا حملوا النطفة صانوها عن الآفات لئلا تسقط بأدنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها فيرتدوا على أعقابهم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم سائر أقارب الدين بعضهم اولى ببعض لاجل التربية ومن المؤمنين بالنشأة الاخرى والمهاجرين عن أوطان البشرية الا اذا تركت

وفارس وما فتح الله عليهم * وقال آخرون هي مكة * وقال آخرون بل هي خيبر ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان وأرضا لم تطؤها قال خيبر
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأورثكم أرضهم وديارهم قال قريظة
والنضير أهل الكتاب وأرضا لم تطؤها قال خيبر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان
الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بني قريظة
وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطؤها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن
مما كانوا وطؤه يومئذ ثم وطؤا ذلك بعد وأورثهموه الله وذلك كله داخل في قوله وأرضا لم تطؤها
لانه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض وقوله وكان الله على كل شئ قديرا يقول تعالى
ذكره وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك وعلى نصره اياهم وغير ذلك من الامور ذا قدرة لا يتعذر
عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ حاول فعله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي
قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن يقول فاني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم اياهن بالطلاق
بقوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وقوله
وأسرحكن سراحا جميلا يقول وأطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن وان كنتن تردن الله ورسوله يقول وان كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله
وطاعتهما فأطعنهما فان الله أعد للمحسنات منكن وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله
أجرا عظيما وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من عرض الدنيا اما زيادة في النفقة أو غير ذلك فاعتزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن
والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن ان لم يرضين بالذى يقسم لهن وقيل كان سبب ذلك
غيرة كانت عائشة غارتها ذكر الرواية بقول من قال كان ذلك من أجل شئ من النفقة وغيرها
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن أبي الزبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يخرج صلوات فقالوا ما شأنه فقال عمر ان شئتم لأعلمن لكم شأنه فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له قال فجعلت أقول في نفسي أى شئ أكلم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعله يضحك أو كلمة نحوها فقلت يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة
فصككتها صكة فقال ذلك حبسني عنكم قال فأتى حفصة فقال لا تسألى رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيأ ما كانت لك من حاجة فالىّ ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال
لعائشة أيغرك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهين أو لينزلن فيك القرآن قال فقالت
أم سلمة يا ابن الخطاب أوما بقى لك الا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ولن
تسأل المرأة الا زوجها قال ونزل القرآن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
الى قوله أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فخيرها وقرأ عليها القرآن فقالت هل بدأت بأحد من نسائك قبلي
قال لا قالت فاني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ولا تخبرهن بذلك قال ثم تتبعهن فجعل يخيرهن
ويقرأ عليهن القرآن ويخبرهن بما صنعت عائشة فتتابعن على ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن

النفس بالاخلاق الحميدة وصارت
من الاولياء بعد أن كانت من
الاعداء فيعمل معها معروفا برفق
من الازهاق واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم في الازل ومنك يا محمد أولا
بالحبيبة ومن نوح بالدعوة ومن
ابراهيم بالخلة ومن موسى بالمكالمة
ومن عيسى بن مريم بالعبدية
وغلظنا الميثاق بالتأييد والتوثيق
ليسأل الصادقين سؤال تشريف
لا سؤال تعنيف والصدق ان
لا يكون في أحوالك شوب

وأسرحكن سراحا جميلا الى قوله أجرا عظيما قال قال الحسن وقتادة خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فى شئ كن أردنه من الدنيا وقال عكرمة فى غيرة كانت غارتها عائشة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحرث من بنى المصطلق وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة فى قول الله يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما قال أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال قتادة وهى غيرة من عائشة فى شئ أرادته من الدنيا وكان تحته تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحرث الهلالية وجويرية بنت الحرث من بنى المصطلق وصفية بنت حيي بن أخطب فبدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة قال لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن فقصره الله عليهن وهن التسع اللاتى اخترن الله ورسوله ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبى صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا نزل التخيير من الله فيهن يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلى سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوى اليه من يشاء منهن لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجى من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هى عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائى عليهن ايثار بعضهن على بعض أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقى الله حدثنا أحمد ابن عبدة الضبى قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال قالت عائشة لما نزل الخيار قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أذكرلك أمرا فلا تقضى فيه شيأ حتى تستأمرى أبويك قالت قلت وما هو يا رسول الله قال فرده عليها فقالت ما هو يا رسول الله قال فقرأ عليهن يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى آخر الآية قالت قلت بل نختار الله ورسوله قالت ففرح بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن عائشة قالت لما نزلت آية التخيير بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال يا عائشة انى عارض عليك أمرا فلا تفتاتى فيه بشئ حتى تعرضيه على أبويك أبى بكر وأم رومان فقالت يا رسول الله وما هو قال قال الله يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى عظيما فقلت انى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر فى ذلك أبوى أبا بكر وأم رومان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة قالت كذا فقلن ونحن نقول

ولا فى أعمالك عيب ولا فى اعتقادك ريب ومن أماراته وجود الاخلاص من غير ملاحظة المخلوق وتصفية الاحوال من غير مداخلة اعجاب وسلامة القول من المعاريض والتباعد عن التلبيس فيما بين الناس وادامة التبرى من الحول والقوة بل الخروج من الوجود المجازى شوقا الى الوجود الحقيقى اذ جاءتكم جنود الشياطين وصفات النفس الدنيا وزينتها من فوقكم وهى الآفات السماوية ومن أسفل منكم وهى

مثل ماقالت عائشة حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا أبى عن ابن سحق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل علىّ فقال سأذكر لك أمرا ولا تعجلى حتى تستشيرى أباك فقلت وما هو يا نبى الله قال انى أمرت أن أخيركنّ وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين قالت قلت وما الذى تقول لا تعجلى حتى تستشيرى أباك فانى أختار الله ورسوله فسر بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهنّ فاخترن الله ورسوله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى موسى بن على ويونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأبى فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك قالت قد علم أن أبوىّ لم يكونا ليأمرانى بفراقه قالت ثم تلا هذه الآية يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا قالت فقلت ففى أىّ هذا أستأمر أبوىّ فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت عائشة ثم فعل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنه طلاقا من أجل أنهنّ اخترنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يقول من يزن منكنّ الزنا المعروف الذى أوجب الله عليه الحدّ يضاعف لها العذاب على فجورها فى الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يضاعف لها العذاب ضعفين قال يعنى عذاب الآخرة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يضاعف لها العذاب بالألف غير أبى عمرو فانه قرأ ذلك يضعف بتشديد العين تأوّلا منه فى قراءته ذلك ان يضعف بمعنى تضعيف الشئ مرة واحدة وذلك أن يجعل الشئ شيئين فكأن معنى الكلام عنده أن يجعل عذاب من يأتى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة فى الدنيا والآخرة مثلى عذاب سائر النساء غيرهنّ ويقول ان يضاعف بمعنى أن يجعل الى الشئ مثلاه حتى يكون ثلاثة أمثاله فكان معنى من قرأ يضاعف عنده كان أن يجعل عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك اختار يضعف على يضاعف وأنكر الآخرون الذين قرؤا ذلك يضاعف ما كان يقول فى ذلك ويقولون لا نعلم بين يضعف ويضاعف فرقا * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك يضاعف وأما التأويل الذى ذهب اليه أبو عمرو فتأويل لا نعلم أحدا من أهل العلم ادّعاه غيره وغير أبى عبيدة معمر بن المثنى ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذى يجب التسليم له وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيرا والله أعلم

المتولدات البشرية أو من فوقكم وهى الدواعى النفسانية فى الدماغ ومن أسفل منكم هى الدواعى الشهوانية فأرسلنا عليهم ريحا من نكبات قهرنا وجنودا لم تروها من حفظنا وعصمتنا وعاهدوا الله من قبل الشروع فى الطلب أنهم لا يولون أدبارهم عند الجهاد مع الشيطان والنفس لاخوانهم وهم الحواس والجوارح كونوا أتباعا لنا والله أعلم

* (تم الجزء الحادى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يقنت منكن) *

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾